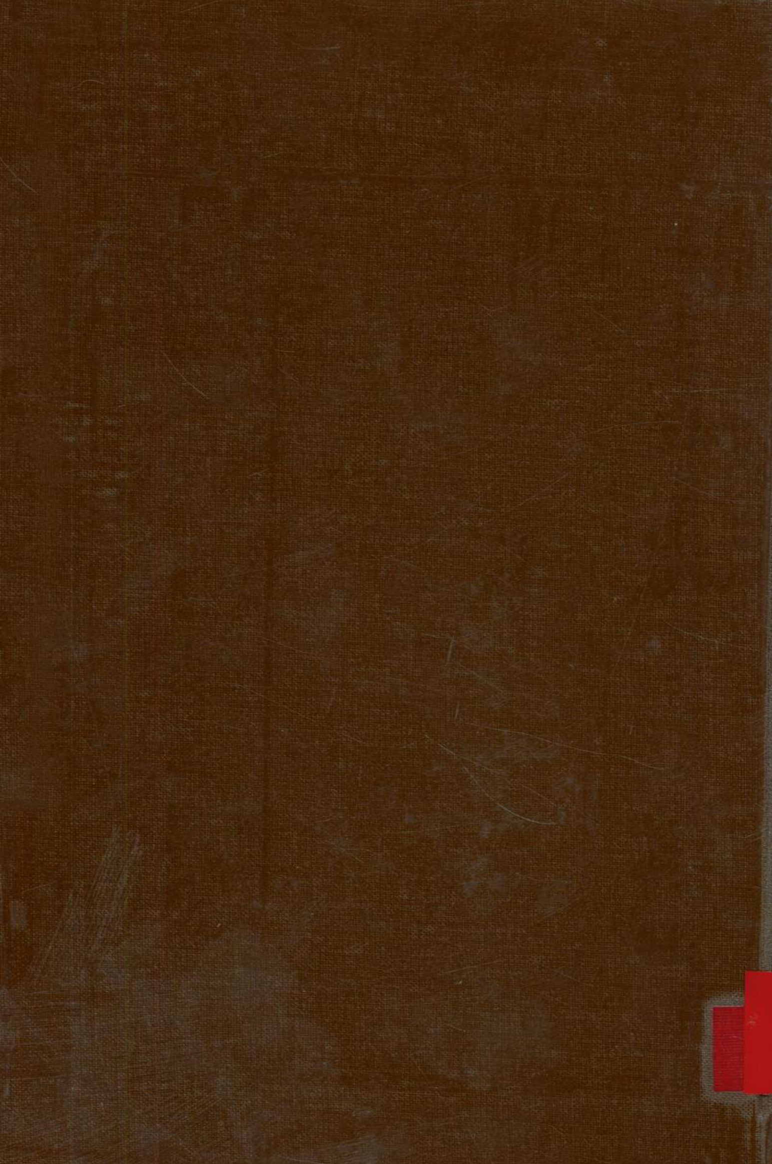




﴿ المقالة الاولى من طبيعيات كتاب النجاه ﴾

نريد ان نحصر جوامع العلم الطبيعي * والعلم الطبيعى صناعة نظرية وكل صناعة نظرية فلها موضوع من الموجودات أو الوهميات (١) فيه ينظر ذلك العلم وفى لواحقه فللعلم الطبيعي موضوع فيه ينظر وفى لواحقه * وموضوعه الاجسام الموجودة بما هى واقعة فى التغير وبما هى موصوفة بأنحاء الحركات والسكونات وبعض موضوعات العلوم لها مباد وأوائل [illegible] موضوع العلم الطبيعى من تلك الجملة * وللعلوم أيضا مباد وأوائل من [illegible] ما يبرهن عليه وهى المقدمات التى تبرهن ذلك العلم ولا تبرهن فيه إما لبيانها وإما لعلوها عن أن تبرهن فى ذلك العلم بل انما تبرهن فى علم آخر والعلم الطبيعى من [illegible] الجملة وا[illegible] ولا على واحد من أصحاب

(١) قو[illegible] و[illegible] [illegible]ارة [illegible] [illegible] [illegible] ص

العلوم الجزئية اثبات مبادى علمه ولا اثبات صحة المقدمات التى بها يبرهن ذلك العلم بل بيان مبادى العلوم الجزئية على صاحب العلم الكلى وهو العلم الالهى والعلم الناظر فيما بعد الطبيعة وموضوعه الموجود المطلق والمطلوب فيه المبادى العامة واللواحق العامة * فلنضع المبادى الكلية للعلم الطبيعى الذى هو واحد من العلوم الجزئية وضعا *

﴿ فصل فى المبادى التي يتقلدها الطبيعى ﴾
(ويبرهن عليها الناظر فى العلم الالهى)

نقول إن الأجسام الطبيعية مركبة من مادة هى محل وصورة هى حالة فيه * ونسبة المادة الى الصورة نسبة النحاس الى التمثال * والعام لها كلها من الصور الأقطار الثلاثة اذ كل واحد من الأجسام يمكن أن نفرض فيه امتدادا أولا وامتدادا ثانيا مقاطعا له على زاوية قائمة وامتدادا ثالثا مقاطعا للامتدادين على زاوية قائمة والزاوية القائمة هى التي تحدث من تقاطع بعد قائم على بعد ليس ميله الى احدى الجهتين أكثر من ميله الى الاخرى * فهذا معنى كون الجسم ذا أقطار ثلاثة بان كان فى نفسه شيأ واحدا . والأقطار التى تكون فى الجسم لاتعدو فى غير تلك المادة الموضوعة لها

بطباعها * والمادة أيضا لاتعرى عن البعد الذى فيه نفرض هذه الأقطار * وتلك المادة لايؤخذ فى حدها لاهذا البعد ولا هذه الأقطار على أنه جزء من وجودها بل هى خارجة عن ذات المادة وان كانت حالة فيها مقارنة لها وليس للمادة بذاتها مقدار وقطر واذ ليس لها ذلك بذاتها بل هى مستعدة لقبوله فلا عجب أن تكون مادة واحدة [1] تقبل حجما فما فوقه وما دونه وتنتقل من حجم الى حجم وهذا جائز فى الوجود * وفى مادة الجسم الطبيعي صور أخر غير الصور الجسمية فلها صور مناسبة لباب الكيف [2] ولباب الاين ولغير ذلك واذا كان الأمر على هذا فللأجسام الطبيعية اذا أخذت على الاطلاق من المبادى المقارنة مبدءان فقط (احدهما) المادة (والآخر) الصورة ولو احق الأجسام الطبيعية هى الأعراض العارضة من المقولات التسع * وفرق بين الصور وبين الاعراض فان الصور تحل مادة غير متقومة الذات على طبيعة نوعها والاعراض تحل الجسم الطبيعى الذي تقوم بالمادة والصورة وحصل

(١) قوله فلا عجب الخ اشارة الى اثبات التخلخل والتكاثف الحقيقيين وقولى الحقيقيين احتراز من الذين بنقص جزء وزيادة أمر خارجى فتدبر * (ا ـ ع)

(٢) قوله لباب الكيف هى المبدأ له قوله ولباب الاين هى المبدأ له قوله ولغير ذلك قانون ذلك الكلى أن كل الاعراض الصادرة من الجسم الطبيعى بطبيعته فمصدره صورة طبيعية يثبتها الحكماء وينفيها مقتصرا على اثبات الاعراض بعض الحسيين * (ا ـ ع)

نوعه * والاعراض بعد المادة بالطبع * والصورة قبل المادة بالعلية والمادة والصورة قبل العرض بالطبع والعلية * والمبدأ المفارق للطبيعيات ليس هو سببا للطبيعيات فقط بل ولمبدأيها المذكورين وهو يستبقى المادة بالصورة ويستبقى بهما الأجسام الطبيعية فاذا هو مفارق الذات للطبيعيات فليس للطبيعي بحث عن أحواله كما له بحث عن كثير من أحوال المبدأين المقارنين * وللأجسام الطبيعية عن المبدإ المفارق استبقاء لذواتها واستبقاء لكمالاتها وكمالاتها اما كمالات أول وهى التى اذا ارتفعت بطل ماهى له كمالات وإما كمالات ثانية لايؤدى ارتفاعها الى بطلان الشئ الذى هى له كمالات بل يؤدى الى ارتفاع صلاح حالاته * والمبدأ المفارق يستبقى هذه الكمالات الثانية لابذاته بل بتوسط وضع قوى فى الأجسام هى كمالات أول ومبادى عنها تصدر هذه الكمالات الثانية ومن الكمالات الثانية للأجسام الطبيعية أفعالها وبهذه القوى تحصل أيضا أفعالها * وليس شئ من الأجسام الموجودة يتحرك أو يسكن بنفسه أو يتشكل أو يفعل شيأ غير ذلك وليس ذلك له عن جسم آخر أو قوة فائضة عن جسم فليس يصدر عنه شئ الا وفيه قوة من هذه القوى المذكورة عنها يصدر ذلك وكل

مايصدر عنه من الافعال * وهذه القوى التي قد غرزت فى الأجسام على أقسام ثلاث فمنها قوى سارية فى الاجسام تحفظ عليها كمالاتها من أشكالها ومواضعها الطبيعية وأفاعيلها واذا زالت عن مواضعها الطبيعية وأشكالها وأحوالها اعادتها اليها وثبتتها عليها مانعة من الحالة الغير الملائمة اياها بلا معرفة وروية وقصد اختيارى بل بتسخير وهذه القوى تسمى طبيعية وهى مبدأ بالذات لحركاتها بالذات وسكوناتها بالذات ولسائر كمالاتها التى لها بذاتها وليس شئ من الأجسام الطبيعية بخال عن هذه القوة * والنوع الثانى قوى تفعل فى الأجسام افعالها من تحريك أو تسكين وحفظ نوع وغيرها من الكمالات بتوسط آلات ووجوه مختلفة فبعضها يفعل ذلك دائما من غير اختيار ولا معرفة فيكون نفسا نباتية ولبعضها القدرة على الفعل وتركه وادراك الملائم والمنافى فيكون نفسا حيوانية * ولبعضها الاحاطة بحقائق الموجودات على سبيل الفكرة والبحث فيكون نفسا انسانية * والنفس بالجملة كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة * ومن النوع الثالث قوى تفعل مثل هذا الفعل لابآلات * ولا بانحاء متفرقة بل بارادة متجهة الى سنة واحدة لاتتعداها وتسمى نفسا فلكية وهذه القوى المذكوره

أيضا هى صور فى الأجسام الطبيعية والصور التى فى المادة منها صور ليس من شأنها ان تخلو منها موادها * ومنها صور من شأنها أن تخلو عنها موادها وهذه اذا زايلتها منها واحدة وجب أن تخلفها غيرها اذ قيل ان هـذه المـادة لا تعرى عن الصورة * فحينئذ يكون كونا للذى الثانية صورته * وفساداً للذى كانت الأولى صورته * ومثل هـذا التبدل فى الأعراض ليس بكون وفساد بل هو استحاله أو نمو أو نقلة أو غير ذلك [1] وكل ما كان بعـد مالم يكن فلا بد له من مادة موضوعة يوجد فيها أو عنها أو معها وهذا فى الكائنات الطبيعية محسوس مشاهد * ولا بد له من عدم يتقدمه لأن مالم يتقدمه عـدم فهو أزلى ولا بد من صورة له حصلت فى المادة فى الحال والا فالمادة كما كانت ولا كون * فاذاً المبادى المقارنة للطبيعيات الكائنة ثلاث صورة ومادة وعدم وكون العدم مبـدأ هو لأنه لا بد منـه للكائن من حيـث هو كائن وله عن الكائن بد وهو مبدأ بالعرض لان بارتفاعه يكون الكائن لا بوجوده وقسط الصوره فى الوجود أوفر من قسط المادة لأنها علتها المعطية لها

---

(١) قوله وغير ذلك هو الحركة فى الوضع والحاصل أنه أشار الى أقسام حركة لازمة الحركة فى الكيف وهى الاستحالة وفى الكم وأشار الى احد اقسامه وهو النمو والحركة فى الأين وهى النقلة والحركة فى الوضع اى سبعة [illegible] بقوله أو غير ذلك (ا ـ ع)

الوجود ويليها الهيولى ووجودها بالصورة وأما العدم فليس هو بذات موجودة على الاطلاق ولا معدومة على الاطلاق بل هو ارتفاع الذات الوجودية بالقوة * وليس أى عدم اتفق مبدأ للكائن بل العدم المقارن لقوة كونه أى لامكان كونه ولهذا ليس العدم الذى فى الصوفة مبدأ لكون السيف البتة بل العدم الذى فى الحديد فانه لا يتأتى تكون سيف من صوفة ويتأتى عن الحديد والمادة اذا كان فيها هذا العدم فهو هيولى * واذا كانت فيها الصورة فهى موضوع فكأنها هيولى للصورة المعدومة التى بالقوة وموضوع للصورة الموجودة التى بالفعل * وللاشياء الكائنة سببان خارجان أيضاً بالذات وهما الفاعل والغاية والغاية هو الذى لأجله توجد * وقوم يعدون الآلات من جملة الأسباب والمثل أيضا وليسا هما في الأشياء الطبيعية بالنحو الذى يدعيه القوم * وجميع الأشياء الطبيعية تنساق فى الكون الى غاية وخير وليس يكون شئ منها جزافاً ولا اتفاقاً الا فى الندرة بل لها ترتيب حكمى وليس فيها شئ معطل لافائدة فيه وليس يكون عن المبدإ الاول المباين فيها فعل قسرى ولا خلاف لما توجبه القوة المجبولة فيها منه الا على سبيل التأدى والتولد ـ فهذه هى الأصول الموضوعة الكلية

فى علم الطبيعيين ويتكفل بتصحيح ماينبغى ان يصحح منها العلم الالهى

﴿ فصل فى تجوهر الأجسام ﴾

وللناس فى الأجسام الطبيعية من جهة تجزيها أقاويل كثيرة فقائل يقول إن الأجسام الطبيعية تتجزأ بالفعل والقوة تجزأ متناهيا وهى مركبة من أجزاء لاتتجزأ اليها تنتهى القسمة * وقائل يقول إن الأجسام الطبيعية لها أجزاء غير متناهية وكلها موجودة فيها بالفعل وقائل إن الأجسام الطبيعية منها أجسام مركبة من أجسام إما متشابهة الصورة كالسرير * وإما مختلفتها كبدن الحيوان * ومنها أجسام مفردة والأجسام المركبة لها أجزاء موجودة بالفعل متناهية وهي تلك الأجسام المفردة التى منها تركبت * وأما الأجسام المفردة فليس لها فى الحال جزء بالفعل * وفى قوتها ان تتجزى أجزاء غير متناهية كل واحد منها أصغر من الآخر وليس تنتهى قسمتها البتة الى جزء لايتجزى وما وجد في كلا القسمين من الأجزاء فهو متناه والتجزى إما بتفريق الاتصال واما باختصاص العرض ببعض منه يميزه حلولا * اما عرض غير مضاف كالبياض * واما عرض مضاف كالمماسة والموازاة * واما بالتوهم واذا لم يمكن أحد هذه الثلاثة فالجسم المفرد لاجزء له

بالفعل * والرأيان الأولان باطلان * فأما رأى الذين أثبتوا للأجسام أجزاء متناهية منها تتركب ويوجد كل واحد منها غير متجز فبطلانه بما أقول * وهو ان كل جزء مس جزأ فقد شغله بالمس وكل ماشغل شيأ بالمس فاما ان لا يدع فراغا عن شغله بجهة أو يدع فكل جزء مس جزأ فاما ان يدع فراغا عن شغله أو لا يدع ولكن ان كان يتأتى ان يماسه آخر غير المماس الأول * فقد ترك اذاً فراغا عن شغله وقد يتأتى ان يماسه آخر غير المماس الأول * فقد ترك اذاً فراغا عن شغله وكل ما كان كذلك فمسوسه متجزى الذات * فاذاً كل جزء مس جزأ بهذه الصفة فمسوسه متجزى الذات فاذاً كل مالا يتجزى لا يتماس الا على سبيل التداخل وكل مالا يتماس الا على التداخل فلا يتأتى أن يتركب منه شئ أعظم منه بل جسم * فاذا الأجزاء الغير المتجزئة لا يتأتى أن يتركب عنها مقدار ولا جسم * وأيضا لنفرض جزأين غير متجزئين وضعا على جزأين غير متجزئين وبينهما جزء غير منجز إن أمكن فنقول ان كل شيئين يصح على كل واحد منهما الحركة وليس ولا واحد منهما غير قابل للحركة ولا يمنع أحدهما الآخر عن الحركة الا على سبيل التصادم والتمانع وليس بينهما تنافر فى القوى يتباعدان به

فاذا لم يكن مانع من خارج لم يكن ولا واحد منهما مانعا للآخر
عن الحركة اليه حتى يتصادما وكل ما كان كذلك فليس محال أن
يتحركا معا حتى يتصادما والجزآن المفروضان فرضنا كذلك فليس
اذا بمحال أن يتحركا معا حتى يلتقيا متصادمين * فلنفرض أنهما
تحركا وتصادما فاما أن يلتقيا على الجزء الأوسط * واما أن يلتقيا
على أحد الطرفين ولا يجوز ان يلتقيا على أحد الطرفين لأنه ان
التقيا عند أحد الطرفين فيكون أحدهما لم يتحرك فاذا يلتقيان
على الجزء الاوسط فاذا يصير الاوسط متجزئا لأن كل واحد
منهما يكون قد قطع بعضه * وقد قيل انه غير متجز وهذا خلف
ولا يبعد ان يبين من هذا أن الجزئين الثابتين متجزئان
أيضا وذلك أيضا خلف وعلى هذا براهين كثيرة من جهات أخر
ومن جهة تركيب المربعات منها لمساواة الاقطار والأضلاع ومن
جهة المسامتات فانه من المعلوم ان كل شئ له سمت مع شئ آخر
وان كان بوساطة ثالث كما للشمس مع الحد المشترك بينها وبين
الظل بوساطة ذى الظل فانه اذا تحرك زال سمته وكانت مسامتته
شئ آخر فيجب اذا اذا تحركت الشمس جزأ ان يكون قد زال
سمتها من قبل ذلك جزأ فيجب ان يكون مايسامته الشمس دائرا

على جسم صغير مساويا لمدار الشمس ولم يكن أعظم وان تكون حركة الظل مثل حركة الشمس * وان وضع مايزول بالسمت مع حركة جزء واحد أقل من جزء فقد انقسم * وأما مناقضة الرأى الثانى فهو أن ذلك يمنع الحركة اذ من المحال أن يقطع المتحرك مسافة ذات أجزاء الا وقد تعدى أنصافها وسائر أجزائها فلنفرض متحركا ومسافة * فنقول ان كانت أجزاء المسافة غير متناهية فلها نصف ولنصفها نصف وكذلك الى غير النهاية بالفعل * وان كان كذلك فقد يقطع المتحرك في زمان متناهى الطرفين أنصافا غير متناهية فى أزمان متناهية لكن التالى محال فالمقدم محال فاذا كانت المسافة متناهية الأجزاء علم منها أن الأجسام متناهية الأجزاء * وههنا براهين أخر منها أنه لا كثرة الا والواحد فيها موجود فان كانت كثرة موجودة بالفعل فالواحد بالفعل موجود فيها والواحد بالفعل غير متجزئ بالفعل فاذا للجسم ذى الكثرة أجزاء أولى غير متجزئة فاذا أخذ منها متناهية أمكن أن يركب واذا أمكن أن يركب لم يخل اما أن لا يزداد حجما على الواحد فيكون كذلك حال الجميع الغير المتناهى واما أن يزداد حجما فيمكن حينئذ أن يحدث عنها جسم واذا أمكن أن يحدث عنها

جسم كان جسم من أجزاء متناهية بالفعل ولم يكن كل جسم مركبا من أجزاء غير متناهية * فاذا ليس وجود الجسم المفرد هو من أجزاء فيه متناهية بالفعل غير متجزئة ولا من أجزاء فيه غير متناهية فاذاً ليس للجسم المفرد بالفعل جزء الا ويحتمل التجزى فاذا اما أن ينتهى فى التجزى فى الآخرة فيكون مركبا من أجزاء لاتتجزى لكن التالى كذب فالمقدم كذب * واما أن لا يتناهى فى التجزى البتة وذلك هو المطلوب *

* المقالة الثانية من الطبيعيات فى لواحق الأجسام الطبيعية *

أعنى الحركة * والسكون * والزمان * والمكان والخلا * والتناهى * واللاتناهى والتماس * والالتحام * والاتصال * والتتالى *

* فصل في الحركة *

الحركة تقال على تبدل حال قارة فى الجسم يسيرا يسيرا على سبيل اتجاه نحو شئ والوصول بها اليه هو بالقوة لا بالفعل فيجب من هذا أن تكون الحركة مفارقة لحال لامحالة ويجب أن تكون تلك الحال تقبل التنقص والتزيد لان ماخرج عنه يسيرا يسيرا على سبيل اتجاه نحو شئ فهو باق مالم ينقض الخروج عنه البتة جملة

والا فالخروج عنه يكون دفعة وكل ماكان كذلك فاما أن يتشابه الحال فيه فى أى وقت من الخروج عنه فرض أو لا يتشابه لكن لايجوز أن يتشابه لانه لو تشابه لما كان عنه خروج البتة فاذا كل ماخرج عنه يسيرا يسيرا فهو باق غير متشابه الحال فى نفسه عند الخروج عنه وما كان كذلك فهو قابل للتنقص والتزيد مثل البياض والسواد والحرارة والبرودة والطول والقصر والقرب والبعد وكبر الحجم وصغره * ولذلك قيل ان الحركة هى فعل وكمال أول للشئ الذى بالقوة من جهة المعنى الذى هو له بالقوة فان الجسم الذى هو فى مكان ما بالفعل وفى مكان آخر بالقوة مادام فى المكان الأول ساكنا فهو بالقوة متحرك وبالقوة واصل واذا تحرك حصل فيه كمال وفعل أول وبه يتوصل الى كمال وفعل ثان هو الوصول لكنه مادام له هذا الكمال فهو بعد بالقوة فى المعنى الذى هو الغرض بالحركة وهو الوصول فالحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ماهو بالقوة فان الحركة له من حيث هو بالقوة في مكان يقصده لامن جهة ماهو بالفعل انسان أو نحاس * واذا كان كذلك فالحركة وجودها فى زمان بين القوة المحضة والفعل المحض وليست من الأمور التى تحصل بالفعل حصولا قارا مستكملا * وقد ظهر أن

كل حركة ففى أمر يقبل التنقص والتزيد وليس شيء من الجواهر كذلك فاذا لاشيء من الحركات فى الجوهر فاذا كون الجواهر وفسادها ليس بحركة بل هو أمر يكون دفعة واحدة . وأما الكمية فلانها تقبل التنقص والتزيد فخليق أن يكون فيها حركة كالنمو والذبول والتخلخل والتكاثف الذي لا يزول فيه اتصال الجسم فانها من جهة مايتزايد بها الجسم أو يتناقص فهى من هذه الجملة عندنا أعنى جملة الحركة فى الكمية وقد توجد الحركة في الكيفيات فيما يقبل التنقص والاشتداد كالتبيض والتسود * وأما فى المضاف فلأن المضاف أبدا عارض لمقولة من البواقى فهو تابع لها فى قبول التنقص والتزيد فاذا اضيفت اليه حركة فذلك بالحقيقة لتلك المقولة (فأما الاين) فان وجود الحركة فيه ظاهر جدا (وأما متى) فان وجوده للجسم بتوسط الحركة فكيف تكون فيه الحركة فان كل حركة كما نبين تكون فى متى فلو كان فيه حركة لكان لمتى متى آخر وهذا خلف (وأما الوضع) فان فيه حركة على رأينا خاصة كحركة الجسم المستدير على نفسه فانه لو توهم المكان المطيف به معدوما لما امتنع كونه متحركا والمتحرك الحركة التى تكون فى المكان لو توهم المكان المطيف به معدوما لامتنع كونه متحركا فاذا

ليس المتحرك بالاستدارة على نفسه متحركا الحركة التى تكون فى
المكان فظاهر أنه ليس بمتحرك في شيء آخر غير الوضع فليس اذا
متحركا الا فى الوضع ولا تعجبن من قولنا انه لو توهم المكان المطيف
به معدوما لما امتنع كونه متحركا فان لهذا من الموجودات مثالا وهو
الجرم الاقصى وأكثر الناس لا يرون وراءه جسما يطيف به وذلك
هو الحق * ولا يعوقهم ذلك عن توهمه متحركا وكيف وهو
متحرك أبداً * ولان الجسم المتحرك بالاستدارة على نفسه اذا
فرض فى مكان فاما أن يباين كليته كلية المكان أو تلزم كليته
المكان ويباين أجزاؤه أجزاء مكانه لكن ليس تتحرك كليته عن
المكان لان كليته لا تباين المكان وما لم يباين مكانه فليس بمتحرك
فى المكان فاذا كليته تلزم المكان وتباين أجزاؤه أجزاء المكان وكل
جسم باين أجزاؤه أجزاء مكانه فقد اختلفت نسب أجزائه الى
أجزاء مكانه وكل ما اختلفت نسب اجزاءه الى اجزاء مكانه فقد
تبدل وضعه فهذا الجسم قد تبدل وضعه بحركته المستديرة وليس
ههنا تبدل حال غير هذا فليس ههنا تبدل غير الوضع والوضع
يقبل التنقص والاشتداد فيقال انصب وانكس (وأما الملك)
فان تبدل الحال فيه تبدلا أولا فى الاين فاذا لا حركة فيه بالذات

بل بالعرض * وأما مقولة أن ينفعل فلقائل أن يقول انه قد يتهيأ أن ينسلخ الشيء عن اتصافه بالفعل يسيراً يسيراً لا من جهة تنقص قبول الموضوع لتمام الفعل على هيئة واحدة بل من جهة هيئته ولكن ذلك اما لأن القوة ان كان فعله بالطبع جعلت تخور يسيراً يسيراً وأما لأن العزيمة ان كان فعله بالارادة جعلت تنفسخ يسيراً يسيراً * وأما لأن الآلة والاداة ان كان فعله بهما جميعا جعلت تكل يسيراً يسيراً وفى جميع ذلك يكون تبدل الحال أولا فى القوة أو العزيمة أو الآلة ويتبعه في الفعل واذا كان ذلك كذلك كانت الحركة في قوة الفاعل أو عزيمته أو الآلة أولا وفى الفعل بالعرض ليس فيه بالذات على أن الحركة ان كانت خروجا عن هيئة قارة وليس شيء من الافعال كذلك فاذا لاحركة بالذات الا فى الكم . والكيف . والأين . والوضع * فالحركة هى مايتصور من حال الجسم لخروجه عن هيئة قارة يسيراً يسيراً وهو خروج عن القوة الى الفعل ممتدا لادفعة بل الحركه كون الشيء بحيث لايجوز أن يكون على ماهو عليه من أينه وكمه وكيفه ووضعه قبل ذلك ولا بعده والسكون هو عدم هذه الصورة فيما من شأنه أن يوجد فيه ومثل هذا العدم يصح أن يعطى رسما من الوجود لأن ماهو

بالاطلاق ليس بموجود مطلقا فلا يتأتى أن يكون له وجود في شئ آخر البتة والجسم الذى ليس فيه حركة وهو بالقوة متحرك لولم يكن له هذا الوصف الذى يصير به الجسم متميزا عن غيره لخاصة تكون له لكان له لذاته * ولو كان لذاته لما باينه * ولكنه يباينه اذا تحرك فاذا هذا الوصف له بمعنى مّا فاذا هذا العدم له معنى مّا فاذا لعدم الحركة فيما من شأنه أن يتحرك مفهوم فى ذاته غير نفس الجسم * وانما العدم الذى لا يحتاج الشئ في أن يوصف به الى غير ذاته فهو مالا ينضاف الى وجوده وامكانه كعدم القرنين فى الانسان وهو السلب فى العقل والقول * وأما عدم المشى فيه فهو حالة مقابلة للمشى توجد عند ارتفاع علة المشى وجودا مّا بنحو من الأنحاء وله علة بنحو وهو بعينه علة الوجود ولكن عند ارتفاعه فانه اذا حضر فعل الوجود واذا غاب فعل ذلك العدم فهو علة بالعرض لذلك العدم فالعدم اذا معلول بالعرض فهو اذا يصح أن يوضع موجودا بالعرض * وهذا العدم ليس هو لاشئ على الاطلاق بل لاشيئية شئ مّا في شئ مّا معين بحال مّا معينة وهو كونه بالقوة *

* فصل فى أن لكل متحرك علة محركة غيره *

نقول ان كل حركة توجد فى الجسم فانما توجد اما له عن حركة

لانه لو كان الجسم يتحرك بذاته وتوجد فيه الحركة بما هو جسم فاما أن يكون لأنه جسم فقط * واما أن يكون لأنه جسم ما فلو كان لأنه جسم فقط لكان كل جسم متحركا * وان كان لانه جسم ما فتكون علة الحركة الخاصية التي لتلك الجسمية وتلك الخاصية معنى زائد على الهيولى الجسمية والصورة الجسمية وهى قوة أو صورة أخرى غير ذلك فتكون الحسمية تجعل فيه الحركة عن وجود تلك الخاصية فيه فيكون مبدأ الحركة تلك الخاصية ومبدأ قبول الحركة هو الجسم لامحالة * وأيضا كل حركة تعرض موجودة في الشيء مسوبة الى قطعه مسافة أو كيفية أو غير ذلك فانها في الحال تعدم من حيث هى كذلك ووجود الحركة انما يتحصل بأن يكون كذلك * وليس شيء مما يوجد للشيء بذاته يعدم عنه أو يعدم عنه مايتعلق بكونه فاذا ليس شيء من الحركات يوجد للشيء بذاته فاذا كل حركة فلها علة محركة * وهذه العلة المحركة ينبغى أن يضاف اليها التحريك وحدها ولا يجوز أن يقال ان الجسم يحرك نفسه بها لانه لو كان الجسم يحرك نفسه بها لكان نفسه يتحرك عن نفسه بها فيصير محركا ومتحركا بحركة واحدة ولو كان كذلك لكان شيء واحد فاعلا وموضوعا لفعل واحد وهذا

محال على ماوضعناه فى المبادى والمقدمات فاذا الفعل مضاف الى العلة وحدها وهذه العلة المحركة اما أن تكون موجودة فى الجسم فيسمى متحركا بذاته واما أن لا تكون موجودة فى الجسم بل خارجة عنه فيسمى متحركا لا بذاته والمتحرك بذاته اما أن تكون العلة الموجودة فيه يصح عنها أن تحرك تارة وان لا تحرك أخرى فيسمى متحركا بالاختيار * واما أن لايصح عنها أن لا تحرك ويسمى متحركا بالطبع * والمتحرك بالطبع اما أن يكون بالتسخير فتحركه علته بلا ارادة ويسمى متحركا بالطبيعة واما أن يكون بارادة وقصد ويسمى متحركا بالنفس الفلكية *

﴿ فصل فى أنه لايجوز أن يتحرك الشئ بالطبيعة وهو على حالته الطبيعية وفي أنه ليس شئ من الحركات بالطبيعة ملائما لذاتها ﴾

كل ما اقتضى طبيعة الشئ لذاته فليس يمكن أن يفارقه الا والطبيعة قد فسدت وكل جزء من الحركة يفرض للحركة بانقسام زمان أو مسافة فقد يمكن أن يفارق والطبيعة لم تبطل فكل حركة تتعين فى الجسم فانها يمكن أن تفارق والطبيعة لم تبطل فليس شئ من الحركات مقتضى طبيعة الشئ المتحرك فاذا ان وجدت الطبيعة مقتضية للحركة فانها ليست على حالتها الطبيعية

وانما تتحرك لتعود الى الحالة الطبيعية وتبلغها فاذا بلغتها ارتفع الموجب للحركة وامتنع أن يتحرك فيكون مقدار الحركة على مقدار البعد من الحالة الطبيعية الملائمة التى فورقت بالقسر وكل حركة بالطبيعة فهى هرب بالطبع عن حال وكل ما كان كذلك فهو عن حالة غير ملائمة فاذاً كل حركة بالطبيعة فمن حالة غير ملائمة وهذه الحركة ينبغي أن تكون مستقيمة ان كانتْ فى المكان لأن هذه الحركة لميل طبيعى وكل ميل طبيعي فعلى أقرب مسافة وكلما كان على أقرب مسافة فهو على خط مستقيم فهذه الحركة على خطمستقيم فاذا الحركة المكانيةالمستديرةكالتى تكون على مركز خارج عنها ليست عن الطبيعة وكذلك الحركة الوضعية وكيف تكون الحركة الوضعية بالطبيعة وقد ثبت أن كل حركة بالطبيعة فانها تهرب من الطبيعة عن حالة غير طبيعيةوالطبيعة لاتفعل بالاختيار بل انما تفعل أفاعيلها بالتسخير والطبع فلا تتفتن حركاتها وأفاعيلها فلنضع الحركة الوضعية بالطبيعة فيكون للهرب الطبيعى عن الوضع الغير الطبيعى وكل ما كان للهرب الطبيعى عن شئ غير طبيعى فانه لا يكون فيه قصد طبيعي بالعود الى مافارقه بالهرب فاذا الحركةالمستديرةالوضعيةالطبيعيةلا يكون

فيها قصد طبيعي بالعود الى مافارقته وهـذا كذب والذى أوجبه وضعنا الحركة الوضعية طبيعية فهي اذا غـير طبيعية فهى اذا عن اختيار أو ارادة * وبهذا يبرهن أيضا على الحركه المكانية المستديرة أنها ليست طبيعية فيتبين أن كل حركة مستديرة ليست عن قاسر فمبدؤها نفسي أى قوة محركة بالاختيار أو الارادة *

﴿ فصل في أنه لايمكن أن تكون حركة مكانية غير متجزئة على مايراه القائلون بجزء غيرمتجزء ولا في غاية السرعة ولافى غاية البطؤ ﴾

إن أمكن وجود حركة غير متجزئة أمكن وجود مسافة غـير متجزئة ووجود مسافة مركبة من أجزاء لاتتجزى والتالى محال كما قد تبين فالمقدم محـال واذا كانت الحركة مطابقة للمسافة والمسـافة تتجزى الى غـير النهاية فالحركة لاتنتهي فى التجزئة * ونقول إن الحركة ان كانت مؤلفة من حركات لا تتجزأ لم يجز ان تكون حركة أسرع من حركة وأبطأ من حركة الاوالأسرع أقل سكنات والابطأ أكثرسكنات والا فليقطع جرم مّا فى وقت مّا بحركة غير متجزئة مسافة ما فتلك المسافة ان كانت متجزئة فالحركة عليها متجزئة وقد فرضت غير متجزئة وان كانت

غير متجزئة فالابطأ يقطع في ذلك الزمان اما مثلها واما أكثر منها * فان قطع مثلها فليس أبطأ وان قطع أكثر منها فهو أسرع * وان قطع أقل فقد تجزئت المسافة وهذا كله خلف لكن من الظاهر أن الحركة تكون أسرع من حركة وابطأ لابسبب السكنات * فنحن نعلم أن السهم في نفوذه والطائر في طيرانه ان كانت حركاته مركبة من حركات لاتتجزى وهي في أنفسها لا أسرع منها لم يخل اما أن تكون مركبة منها بلا تخلل سكنات أو تكون بتخلل سكنات قليلة جدا بالقياس الى الحركات * فان كان لا بتخلل السكنات فيجب أن تكون حركة السهم والطائر مساوية لحركة الشمس المشرقية أوأسرع منهاوهذا محال * وان كان بتخلل السكنات وهي أقل من الحركات فيجب أن يكون فضل حركة الشمس عليها أقل من الضعف لكن ليس بينهما نسبة يعتد بها فاذا ليس حركات لاتتجزى ولا في غاية السرعة وليست السرعة والابطاء بسبب تخلل السكنات بل قد يكونان في نفس الحركة وهي متصلة لشدتها وضعفها *

﴿ فصل في الحركة الواحدة ﴾

الحركة قد تكون واحدة بالجنس وقد تكون واحدة

بالنوع وقد تكون واحدة بالشخص والحركة الواحدة فى الجنس هى التى تقع فى مقولة واحدة أو فى جنس واحـد من الاجناس التى تحت تلك المقولة مثل النمو والذبول فانهما واحد بالجنس أى فى الكم ومثـل التسخن والتبيض فانهما واحـد بالجنس أى في الكيف والتسخين والتبريد واحـد بالجنس الأقرب لأنهما فى الكيفية الانفعالية * والحركة الواحدة فى النوع هى التى ان كانت ذات جهة مفروضة كانت في نوع واحد عن جهة واحـدة والى جهة واحـدة * وفى زمان مسا ومثل تبييض مايتبيض وتسخين مايتسخن وكذلك الصعود للمتصعد والتسفل للمتسفل ويقال حركة واحدة بالشخص وهى التى تكون مع ذلك كله عن متحرك واحد بالشخص فى زمان واحد ويكون وحدة هذه الحركة الشخصية هى بوجود الاتصال فيهـا * والحركات المتفقة فى النوع لاتتضاد وهذا بين بنفسه *

﴿ فصل فى تضايف الحركات ﴾

الحركات المتضايفة يعنى بها التى يجوز أن يقال لبعضها أسرع من بعض أو أبطأ أو مساو له فى السرعة * ولما كان الاسرع هو الذى يقطع شيأ مساويا لما يقطعه الآخر فى زمان أقصر أو الذى

يقطع فى زمان سواء أزيد مما يقطعه الآخر والمساوى فى السرعة هو الذى يقطع فى مثل الزمان مثل ماقطع الشئ فيجب أن تكون الاشياء التى فيها الحركة من شأنها أن يقال لها ان بعضها مساو لبعض وأزيد وأنقص * اما مطلقا مثل خط لخط وارتفاع لارتفاع وبياض لبياض * واما غير مطلق وذلك الذى هو غير مطلق هو على وجهين اما أن يكون في القوة مطلقا مثل المثلث للمربع فان في قوة بعض المثلثات أن يقطّع سطحه أجزاء * ثم ينهدم منها مربع واما فى القوة بحسب الوهم مثل القوس للمستقيم فانه لايجوز أن يكون قوس مساويا لمستقيم البتة بالفعل اذ المساوى هو الذى ينطبق على الشئ فلا يفضل عليه ولكنه فى القوة الوهمية قد يتوهم مساويا له لانه يمكن أن يتوهم المستدير مستقيما والمستقيم مستديرا هذا واما أن يكون لابالقوة ولا بالفعل ولكن يخيل نسبة شئ الى شئ مّا مثل نسبته الى مقابله مثل بياض وسواد كل واحد منهما فى الغاية أو شدة كل واحد منهما الزائدة على المتوسطة مناسبة لشدة الآخر * فكان بعد شدته ونقصه من أحد الطرفين كبعد الآخر عن مقابله فالحركات المتضايفة في الحقيقة هى التى من القسم الأول وهى التى نوع مافيه

الحركة فيهما جميعا واحد ثم القسم الثاني * واما القسم الثالث والرابع فمجازيان وأبعدهما الرابع *

﴿ فصل فى تضاد الحركات ﴾

فنقول أولا ان الضدين هما اللذان موضوعهما واحد وهما ذاتان يستحيل أن يجتمعا فيه ولا يستحيل أن يتعاقبا عليه وبينهما غاية الخلاف وبعد ذلك فنقول ان تضاد المتحركين لا يوجب بين الحركات تضادا وليس تضاد الحركات هو أن المتحركين متضادان فانه قد تتحرك أشياء متضادة حركة واحدة بالنوع كما قد يتحرك حار وبارد حركة واحدة بالنوع * ولو كان تضاد الحركات لانها عن متحركات متضادة لما كان ولا شئ من الأضداد يتحرك حركة واحدة فاذا تضاد المتحركين ليس هو الموجب لتضاد الحركتين * وأيضا لو كان تضاد الحركتين لأجل تضاد المتحركين بأن يكون حقيقة تضادهما هو تضاد المتحركين لكان كل حركتين متضادتين عن ضدين وذلك كذب * لأن بعض الأشياء يوجد هو بعينه متحركا حركتين متضادتين لوجود حد التضاد لهما وذلك كشئ واحد يبيض مرة ويسود أخرى ويعلو تارة ويسفل أخرى انيس اذا ليست حقيقة التضاد في الحركات المتضادة بتضاد

المتحركات ولا أيضا بالزمان لان الحركات كلها تتفق فى نوع الزمان فاذا قلنا ليس شئ من زمانى حركتين مختلفتين بمختلفين وكلما تتضاد به الحركات مختلفان لزم ان الزمان لاتتضاد به الحركات فتبين أن الزمان لايوجب البتة تضادا فى الحركات ولا يكون به التضاد فى الحركات ولا أيضا تضاد الحركات هو لتضاد مافيه التحرك لانه قد توجد حركتان متضادتان تسلكان مسافة واحدة أو طريقا واحدا بين كيفيتين متضادتين بل تضاد الحركات هو بتضاد الأطراف والجهات اذ كانت الحركات انما تختلف اما فى جهاتها واما في هيئة مافيه تتحرك * واما فى المحرك لها والمتحرك بها أو الزمان فاذا ثبت هذا * فنقول ان الحركة المستقيمة لاتضاد الحركة المستديرة المكانية لأنهما لايتضادان في الجهات * وكل حركتين متضادتين فهما متضادتان بالجهات وانما قلنا ان الحركات المستقيمة لاتضاد المستديرة فى الجهات لان المستديرة لاجهة فيها بالفعل لانها لانهاية لها بالفعل لانها متصل واحد * ثم ان فرض جهتان وطرفان مشتركان للمستقيم والمستدير كان توجه المستدير اليهما جميعا بالسواء * وكذا فرض جهتان متضادتان للضدين امتنع أن يكون توجه احدهما اليهما بالسواء - ونقول انه لاتضاد فيما

بين الحركات المستديرة لانها لا تختلف فى النهايات وكل حركتين متضادتين فمختلفتان فى النهايات بل متضادتان ولكن قد يمكن أن يتوهم تخالف المأخذ فيها تضادا وذلك غير حق لانه اذا فرض في المدار مأخذ جهتين مختلفتين كان معناه أن احدى الجهتين هي من نقطة الى أخرى والأخرى من الأخرى الى الأولى ولكن ايهما أخذ الاتجاه فى الحركة عليه من نقطة الى أخرى كان ذلك الاتجاه فى الحركة في باقى المدار يفعل خلاف مافعل في الأول والحركتان اللتان يفعلان احدهما في مدار ما اتجاها من نقطة الى أخرى وتفعل الأخرى فى ذلك المدار اتجاها من النقطة الأخرى الى الأولى فان كل واحد منهما يفعل بعد ذلك فى ذلك الاتجاه بعينه مافعلت الأخرى * ولكن يقع فعل كل واحد منهما المشابه لفعل الآخر فى جزئين مختلفين من المدار وكل واحد منهما مشابه فعله فعل الآخر ولكن مختلفان باختلاف جزئى المدار واختلاف جزئى المدار ليس اختلافهما الا بالعدد فقط * وكل اختلاف موجب للتضاد فليس هو اختلاف قرن بالعدد فقط فاذا اختلاف جزئي المدار ليس اختلافا يوجب التضاد وليس ههنا الا هذا الاختلاف فليس اذا اختلاف هذه الجهات موجبا للتضاد

فاذا ان أمكن أن تتضاد الحركتان المكانيتان فهما المستقيمتان فبين أنهما الآخذتان فى خط واحد المختلفتان فى المبدأين والجهتين فضد الهابطة الصاعدة وضد المتيامنة المتياسرة * وهذا التضاد غير متعلق بنفس الطرفين بأن يتعينا بل بجهتيهما ولو كان تعين الطرفين موجبه لما كان تضاد الا عند موافاة النقط الغائية ولو كان كذلك لما كان التضاد الا عند انتهاء الحركات ولو كان كذلك لما كان بين الحركات الموجودة تضاد ولكن بين الحركات الموجودة تضاد موجود كما نبين فاذا ليس التضاد بينهما للوصول الى النهايات المتضادة بل للاتجاه اليها * واما بيان أن فى الحركات الموجودة تضادا موجودا فلأنه قد توجد حركتان لاتجتمعان معا وهما مستقيمتان * ويتأتى أن يتعاقبا على الموضوع وكلاهما ذاتان ثم قد يوجد فيهما مايتخالف خلافا لايمكن أن يكون بين حركتين خلاف فوقه وهما المتخالفتان في الاتجاه الى ضدين عن ضدين ومنها مايتخالف خلافا ليس بالغاية وهما المتخالفتان في الاتجاه لاعلى ذلك الوجه وكل شيئين على الصفة الأولي فتضادان فاذا فى حركات المستقيمة تضاد وهذا برهان يدل على الحد أيضا * ولنختم ههنا القول فى الحركات المتضادة ولننقل ماملناه فى الحركات المستقيمة الى غيرها

﴿ فصل فى التقابل بين الحركة والسكون ﴾

قد بينا انا نعنى بالسكون عدم الحركة فيما من شأنه أن يتحرك فيكون التقابل بينهما أعنى الحركة والسكون تقابل العدم والملكة فيكون السكون المطلق مقابلا للحركة المطلقة والسكون المعين مقابلا للحركة المعينة فقد قالوا ان السكون فى المكان المعين عدم الحركة فيه للشئ الذى يتأتى أن يتحرك بأن يفارق ذلك السكون * وليس عدم اية حركة اتفقت بسكون * فانه لو كان عدم أى حركة اتفقت سكونا لكان أيضا عدم حركة تتوهم للجسم فى مكان خارج سكونا حتى لو كان متحركا لافى ذلك المكان كان ساكنا فاذا ليس أى عدم اتفق هو السكون بل العدم المقابل وهو السكون فى المكان الذى يتأتى فيه الحركة والحركة فى المكان بعينه مفارقة للمكان بعينه وكل مفارقة للمكان فبالحركة عنه لا بالحركة اليه فاذا السكون فى المكان المقابل انما يقابل الحركة عنه لا الحركة اليه بل ربما كان هذا السكون استكمالا لها وفى هذا كلام يليق بالمبسوطات *

﴿ القول فى الزمان ﴾

كل حركة تفرض فى مسافة على مقدار من السرعة وأخرى

معها على مقدارها من السرعة وابتدأتا فانهما يقطعان المسافة معا وان ابتدأت أحداهما ولم تبدئ الأخرى ولكن انتهيتا معا فان احداهما تقطع دون ماتقطع الأولى وان ابتدأ مع السريع بطئ واتفقا في الأخذ والترك وجد البطئ قد قطع أقل والسريع قد قطع أكثر * واذا كان ذلك كذلك كان بين أخذ السريع الأول وتركه امكان قطع مسافة معينة بسرعة معينة وأقل منها ببطء معين * وبين أخذ السريع الثانى وتركه امكان أقل من ذلك بتلك السرعة المعينة فيكون هذا الامكان طابق جزأ من الأول ولم يطابق الا جزأ متقضيا وكان من شأن هذا الامكان التقضى لانه لو ثبت للحركات بحال واحدة لكان يقطع المتفقات فى السرعة أى وقت ابتدأت وتركت مسافة واحدة بعينها ولما كان امكان أقل من امكان * واذا كان ذلك كذلك وجد فى هذا الامكان زيادة ونقصان يتعينان * واذا كان ذلك كذلك كان هذا الامكان ذا مقدار يطابق الحركة وفيه تقع الحركة بأجزائها التى لها من المسافة فاذا ههنا مقدار للحركات مطابق لها وكل ماطابق الحركات فهو متصل ومتقضى الاتصال متجدده فاذا هذا المقدار متصل ومقتضى الاتصال متجدده فمن هذا المقدار مدة أى متصل على

سبيل التقضى * وهذا المقدار وجوده فى مادة لأنه يوجد منه جزء بعد جزء وكلما كان كذلك فكل جزء يفرض منه حادث وكل حادث ففى مادة كما قيل في المبادى أوعن مادة وليس هذا عن مادة لأن مجموع المادة والصورة لايحدثان حدوثا أوليا بل الهيئة والصورة فهو اذا مقدار فى مادة وكل مقدار يوجد فى مادة وموضوع فاما أن يكون مقدار للمادة أو لهيئة فيها ولكن ليس هذا المقدار للمادة لأنه لو كان مقدارا للمادة بذاتها لكان بزيادتها زيادة المادة ولو كان كذلك لكان كل ماهو أسرع أكبر وأعظم * والتالى باطل فالمقدم باطل فاذا هو مقدار للهيئة * وكل هيئة إما قارة واما غير قارة فهو اذا اما مقدار هيئة قارة أو هيئة غير قارة لكن ليس مقدار هيئة قارة فان كل هيئة قارة فرض لها مقدار فاما أن يكون مع تمام مقدارها فى المادة أو لايكون ولكن ليست تكون هذه الهيئة مع تمام مقدارها في المادة لأن كل هيئة هكذا فانه يظهر فى المادة زيادة بزيادتها ونقصان بنقصانها وليست الحركة كذلك وأيضا لاتكون بتمام مقدارها فى المادة لأنها تبقى مع الزيادة خارجة عن المادة وليس شيء من هيئات المواد كذلك فهذا محال فاذا ليس هذا المقدار مقدار هيئة قارة فهو اذا مقدار

هيئة غير قارة وهو الحركة * ولهذا لايتصور الزمان الامع الحركة ومتى لم يحس بحركة لم يحس بزمان مثل ماقيل فى قصة أصحاب الكهف * وهذا المقدار غير مقدار الجسم لماقيل وغير مقدار المسافة لأنه لوكان مقدار المسافة لكان سلوكه وسلوك هذا المقدار واحدا ولو كان كذلك لكانت الحركات المتفقة فى مسافة واحدة واحدة بعينها فى السرعة والبطء ولم تكن الحركات المختلفة فى السرعة والبطء تقطع فى هذا المقدار مسافات مختلفة كما قيل وليس هو نفس السرعة والبطء لأنه قد يتساوى سريعان وبطيئان فى السرعة والبطء ويختلفان فى هذا المقدار كما تعلم فاذا هو مقدار خارج عن هذه وهو بحيث لو فرضت الحركة معدومة أصلاً لم ينازع فى أن موجدها كان يقدر أن يخلق حركة أو حركات قبل الأولى تنتهى مع بداية الأولى ولها مقدار وانه لم يمكن أن يخلق معها مطابق لها فى المبدأ والمنتهى ماهو أعظم منها مع امكان خلق ماهو أعظم منها وينتهى معها بلا شريطة * واذا كان كذلك عرف امكان وقوع حركتين مختلفتين في العدم فكان هناك امكانان فلا يخلو اما أن يكونا معا أو لاحدهما تقدم لكن ليسا معا لأنهما لو كانا معا لكانت الحركتان العظمى والصغرى يمكن أن يقعا معا وذلك محال فاذا

احدهما يكون قد تقدم والآخر لحقه فطابق بعضا منه وكل
شيئين هذه صورتهما فهما مقداران فاذا الإمكان المقدر ومقداره
واحد عند عدم الاشياء كلها وهما كما قيل من الأشياء التى في
موضوع وعن وجود الحركة فيه وكلما كان كذلك وجدمع وجوده
الموضوع والحركة وقد فرضنا معدومين هذا خلف * فاذا الزمان
ليس محدثا حدوثا زمانيا بل حدوث ابداع لايتقدمه محدثه بالزمان
والمدة بل بالذات ولوكان له مبدأ زمانى لكان حدوثه بعد مالم يكن
أى بعد زمان متقدم فكان بعداً لقبل غير موجود معه فكان
بعدَ قبل وقبل بعد فكان له قبل غير ذات الموجود عند وجوده
وكل ماكان كذلك فليس هو أول قبل وكل ماليس أول قبل فليس
مبدأ للزمان كله فالزمان مبدع أى يتقدمه باريه فقط * ومعنى
المحدث الزمانى أنه لم يكن ثم مكان ومعنى لم يكن أى كان حال
هو فيه معدوما وذلك الحال أمر قد وجد وتقضى فانه ان كان
معنى لم يكن عدما لافى وقت معين ماض بل عدم بالقياس الى
لاوجود فان القديم أيضا ليس هو موجودا فى اللاوجود بل هو
فى كثير من الموجودات غير موجود مثل أنه غير موجود فى
الحركة ولا في الاستحالة ولا فى التغيير وليس أنه غير موجود فى

شيء وانه غير موجود شيأ واحدا كما أنه ليس معنى أنه ليس في شيء وانه ليس شيأ واحدا فاذا الزمان غير محدث حدوثا زمانيا والحركة كذلك * وسنبين انه ليس كل حركة كذلك * بل المستديرة فقط وضعية كانت أو مكانية * فاذا هوية هذا المقدار الذي للحركة هي أنه لحركة مستديرة وبها تعلقه الذاتي ولو كان تعلقه الذاتي الذي بالهيئة الغير القارة في المادة كما نبين انما هو بما كان هيئة غير قارة وكانت غير المستديرة لعدمت في زمان وذلك كما بان محال * فاذا الزمان مقدار للحركة المستديرة من جهة المتقدم والمتأخر لا من جهة المسافة والحركة متصلة فالزمان متصل لأنه يطابق المتصل وكل ما طابق المتصل فهو متصل * فاذا الزمان يتهيأ أن ينقسم بالتوهم لأن كل متصل كذلك فاذا قسم ثبتت له في الوهم نهايات ونحن نسميها آنات * وكما أنه قد يمكن أن تتقدر هيآت قارة في المادة كثيرة العدد بمقدار واحد قار كذلك قد يمكن أن تتقدر هيئات غير قارة كثيرة العدد بمقدار واحد غير قار أعني بزمان واحد فيكون ذلك الزمان أولا لشيء منها وثانيا لها في تقدرها به بالمطابقة وتكون تلك الحركة علة لتقدير سائر الحركات ومحركها علة لها ولمقدارها ولتقدر سائر الحركات * وليس كل ما

وجد مع الزمان فهو فيه فانا موجودون مع البرة الواحدة ولسنا فيها * بل الشيء الموجود فى الزمان أما أولا فأقسامه وهو الماضى والمستقبل وأطرافه وهى الآنات * وأما ثانيا فالحركات وأما ثالثا فالمتحركات فان المتحركات فى الحركة والحركة فى الزمان فتكون المتحركات بوجه مّافي الزمان وكون الآن فيه ككون الوحدة فى العدد * وكون الماضى والمستقبل فيه ككون أقسام العدد فى العدد وكون المتحركات فيه ككون المعدودات فى العدد فما هو خارج عن هذه الجملة فليس فى زمان بل اذا قوبل مع الزمان واعتبر به فكان له ثبات مطابق لثبات الزمان وما فيه وسميت تلك الاضافة وذلك الاعتبار دهرا له فيكون الدهر هو المحيط بالزمان وكما أن كل متصل من المقادير الموجودة قد يفصل فيقع عليه العدد فلا عجب لو فصل الزمان بالتوهم فجعل أياما وساعات بل سنين وشهور فذلك اما بمراد المتوهم واما باعتبار مطابقة عدد الحركات له

﴿ فصل فى المكان ﴾

يقال مكان لشيء يكون فيه الجسم فيكون محيطا به ويقال مكان لشيء يعتمد عليه الجسم فيستقر عليه والمكان الذى يتكلم فيه الطبيعيون هو الأول وهو حاو للمتمكن مفارق له عند الحركة

ومساو له لانهم يقولون لا يتأتى أن يوجد جسمان فى مكان واحد فاذا كان كذلك فينبغى أن يكون خارجا عن ذات المتمكن لان كل شئ يكون فى ذات المتحرك فلا يفارقه المتحرك عند الحركة وقد قيل ان كل مكان مباين للمتحرك عند الحركة فاذاً ليس المكان شيئا فى المتمكن وكل هيولى وكل صورة فهو فى المتمكن فليس اذاً المكان بهيولى ولا صورة ولا الابعاد التى يدعى انها مجردة عن المادة بمكان الجسم المتمكن لامع امتناع خلوها كما يراه بعضهم ولا مع جواز خلوها كما يظنه مثبتو الخلاء * وأقول أولا انه ان فرض خلاء خال فليس هو لاشيأ محضا بل هو ذات وكم وجوهر لان كل خلاء خال يفرض فقد يوجد خلاء آخر أقل منه وأكثر ويوجدمتجزئا فى ذاته والمعدوم واللاشىء ليس يوجد هكذا * فليس الخلاء لاشيئا * وأيضاً كل ما كان كذلك فهو كم فالخلاء كم * وكل كم فاما منفصل واما متصل والخلاء ليس بمنفصل لان كل منفصل فاما أن يكون الانفصال عرض له أو يكون لذاته منفصلا وكل ما عرض له الانفصال فهو متصل بالطبع و ن كان منفصلا لذاته فهو عديم الحد المشترك بين أجزائه * وكل ما كان كذلك فكل واحد من أجزائه لاينقسم وكلما كان كذلك

فليس يمكن أن يقبل فى ذاته متصل الاجزاء فاذاً الخلاء ليس بمنفصل الذات فهو اذاً متصل الذات كيف لا وقد يفرض مطابقا للملاء فى مقداره وكلما كان كذلك فهو مطابق للمتصل وكل ما طابق المتصل فهو متصل فالخلاء اذاً متصل * وأيضا الخلاء ثابت الذات متصل الأجزاء منحازها فى جهات وكل ما كان كذلك فهو كم ذو وضع * فالخلاء كم ذو وضع * وأيضاً الخلاء يوجد فيه خاصية البعد وقبول الانقسام الوهمى من أى جانب وأى إمتداد كان فى الجهات كلها وكل ما كان كذلك فهو ذو ابعاد ثلاث فالخلاء ذو ابعاد ثلاث وذو وضع * وكانه جسم تعليمى مفارق للمادة * فنقول أن كون الخلاء كما ذا وضع وابعاد ثلاثة اما أن يكون له لذاته أو لشئ الخلاء حل فيه أو لشئ هو حل فى الخلاء وهو مقدار موضوعه الخلاء ولا يجوز أن يكون لشئ حل فيه الخلاء لانه يكون ذا مقدار غير الخلاء وكل ما كان كذلك فهو ملاء فذلك الشئ ملاء فيكون الخلاء حل فى الملاء وهذا باطل محال لانه يلزم أن يكون الخلاء ملاء ولا أيضاً لشئ حل فى الخلاء فقدّره فيكون ذلك المقدار فى محل لا يفارقه ويكون مجموعهما جسما ويكون الخلاء مادة وجزأ من حقيقة الملاء وهذا كله محال * وأيضاً الخلاء

حينئذ إما أن يكون هو الموضوع لذلك المقدار أو يكون الموضوع والمقدار جزئين من الخلاء فان كان الخلاء موضوعا لذلك المقدار فاذا رفع المقدار في التوهم كان الخلاء وحده بلا مقدار ولا امكان لمطابقة الاجسام فيكون حينئذ الخلاء وحده ليس خلاء وحده وان بقى متقدرا فى نفسه فهو مقدار بنفسه لا لمقدار حله وان كان الخلاء مجموع مادة ومقدار فالخلاء جسم وهـذا محال * فبين انه يجب أن يكون الخلاء ان كان موجودا ومقداراً أن يكون مقداراً لذاته وكل ماهو مقدار لذاته لايخلو فى نفسه اما أن يكون متصلا لذاته أو متصلا لهيئة جعلتـه متصلا ولـكن ليس متصلا لهيئة جعلته متصلا لأن ما كان كذلك فكميته بغيره وليس شيء مما هو مقدار بذاته كميته بغيره فاذاً ليس شيء مما هو مقدار بذاته كذلك فاذاً كل ما هو مقدار بذاته فهو متصل بذاته وكل متصل بذاته فانه لاينفصل مادام ذاته موجوداً فاذاً كل مقدار بذاته فانه لاينفصل مادام ذاته موجوداً فاذاً اذا وجد انفصال فاما أن يكون الانفصال حل فيه وذلك محال أو يكون حل فى مادة قارنته وعدم ذاته عند حلوله فيه وهو الباقى وكذلك نقول فى السطح والخط والجسم الذي من الكم وكل ما كان معه مادة يعرض له الانفصال

بعد وجود الاتصال فيه فهو مقدار في مادة فاذاً حيث وجد انفصال فهناك مادة فالخلاء ان وجد فيه انفصال فله مادة فهو اذاً جسم طبيعي وان فرض ان الخلاء يعدم عند ورود الانفصال عليه فعلى ماذا ورد الانفصال لان الشيء لا يرد على المعدوم ولا يرده المعدوم ولا يعارض هذا بالمقدار الجسماني وانه ينفصل لانا سنبين في موضعه ان ذلك الانفصال اعدام لذلك المقدار وانه يحل محله وليس هو بقابل له وانما عرض للمادة * ونقول الآن ان الخلاء ليس له مادة وكل قابل للانفصال فله مادة فاذاً الخلاء لا ينفصل * ونقول من رأس أيضا ان امتناع تداخل بعدين بين جسمين بأن يكون مثلا مكعب ويفرض آخر مساو له ثم يتداخلان وهما ثابتا الذات حتى يستغرق كل واحد منهما الآخر من غير تفكك أمر محال مشاهد * اللهم الا ان نفرض أحدهما معدوماً ويخلفه الآخر في حيزه فاما أن يكون امتناع التداخل واقعاً بين المادتين من الجسمين أو يكون بين البعدين أو يكون بين البعد والمادة أو يكون بين كل واحد منهما مع كل واحد منهما * فأقول انه لا تمانع بين المادتين لانهما ان تمانعا فاما ان يتمانعا لذاتيهما أو لأجل تمانع البعدين فان كان لأجل تمانع البعدين

فالبعدان هما المتمانعان عن التداخل بالطباع لا المادتان فان تمانعتا لذاتيهما لا لاجل البعدين فذلك محال لانه قد يتأتى أن يوجد جسم متصل هو واحد بالفعل وذو مادة واحدة بالفعل فينفصل فيصير لا محالة ذا مادتين ثم يتصل فتصير المادتان واحدة والافهما اثنان مختصان بذاتين قائمتين واذا كان كذلك كان لكل واحد منهما مقدار مفارق لمقدار الآخر منفصل الذات عنه فلم يكن متصلا وقد فرض متصلا * فاذاً لا يمتنع تصير المادتين واحدة بلا تمايز فى الوضع الا من جهة ابعادهما لا من جهة ذاتيهما وكل شيئين اتحدا ولا تمايز بينهما فى الوضع بل وضعهما واحد وتلاقى ذاتاهما بنفسيهما لا بمقدار لهما فانه بنفسيهما لا يبقى لهما شئ غير متلاق فاذاً مالم يكن كذلك فمقداره يمنعه والمقدار هو المانع عن ذلك لا طبيعة المادة وانما كلامنا في طبيعتهما فاذاً المادتان بما هما مادتان لا يتمانعان عن الملاقاة بالاسر فانا لانعنى بالتداخل الذي بمعنى السلب بل الذى بمعنى العدول وهو وجوب لاتحيز والتفرد بالحيز * وهذا المعنى غير مقول بالذات على ما ليس له فى ذاته حيز * فمن المستحيل أن يقال ان مادتين يمتنع عليهما أن لا يتميزا بالحيز وليستا بمتحيزتين بذاتيهما أو أن يقال فمن المستحيل

أن يقال ان المادتين يتميزان بالحيز وليستا بمتحيزتين بل الصواب لا يمتنع عليهما التداخل بهذا المعنى اذ لايتميزان بالحيز وهذا النظر هو نظر فى ذاتيهما فاذن التمانع عسى أن يكون بين ذات المادة والبعد * وهــذا أيضا محال لان المادة ذاتها تلاقي البعــد وتتقدر به ويسرى كليته فى كليتها فهى اذاً اما ان تمانع بذاتها لمداخلة البعد وقد قيل لاتمانع أو تمانع بسبب البعد الذى فيها فان مانعت ببعدها فبعدها هو السبب فاذاً ان مانعت مانعت بذاتها ولــكن ذلك محال * فاذاً ليس التمانع بين الابعاد والمواد فبقى اذاً ان التمانع انما هو بين الابعاد وليس ذلك لاجل المادتين ولا لأجــل البعد والمادة فاذاً ذلك لأجــل طباع البعدين * فاذاً طباع الابعاد تأبى التداخل وتوجب المقاومة والتنحى عن نفوذ المنــدفعات فيها ان قويت على الاندفاع ولان البعد اذا داخل بعداً غــيره * فاما أن يكونا جميعاً موجودين أو يكونا كلاهما معدومين * أو يكون أحدهما موجوداً والآخر معدوماً فان كانا كلاهما موجودين فهما أزيد من الواحــد وكل ما هو أزيد من آخر وهو عظيم فهو أعظم منه فمجموع البعدين المتداخلين أعظم من الواحد وان كان البعد هو الامتداد فــكيف يكون امتدادان فى امتداد واحدفى

جهة واحدة وبماذا يتغايران حتى يكون أحدهما داخلا والآخر مدخولا فيه * وان عدما جميعاً فليس اذاً مداخلة وان وجد أحدهما وعدم الآخر فليس أيضاً مداخلة ولا قابل ولا مقبول بل اما المتمكن موجود لافى ابعاد الخلاء وأما الخلاء موجود ولا متمكن فيه وكلا هذين محال * فان المتمكن لايعدمه التمكن ولا المكان يعدمه المتمكن فبين من هذه الاصول أن الخلاء لا حركة فيه لانه اذا تحرك فيه شئ فاما أن يداخل بُعده بُعده وقد قيل ان ذلك محال واما أن يتحرك بأن يغلبه اذا مانعه بالنفوذ فيه وقد قيل ان ذلك محال أيضاً فاذاً لاحركة في الخلاء وكذلك لاسكون فيه * وأقول لاوجود للخلاء ولا لمقدار ليس فى مادة لانه اما أن يكون متناهياً واما أن يكون غير متناه لكنه لاوجود لمقدار غير متناه وسيرد عليك استقصاء بيانه من بعد وقد يمكننا أن نوضح ذلك بعجالة بيان * فنقول لتكن حركة مستديرة فى خلاء غير متناه ان أمكن أن يكون خلاء غير متناه وليكن الجسم المتحرك مثل كرة (ا ب ج د) المتحركة على مركزها ولنتوهم فى الخلاء الغير المتناهى خط (ط ح) وليكن (ه ج) من المركز الى جهة من المحيط لا يلاقي خط (ط ح) من جهة (ح) وان أخرج بغير نهاية

لـكن الـكرة اذا دارت صار هذا الخط بحيث يقاطعه ويجرى عليه وينفصل عنـه فيكون الالتقاء والانفصال بمسامتة نقطتين لامحالة وليكونا(ك)و(ل) لكن نقطة(م) تسامتها قبل نقطة (ك) ونقطة (ك) أول نقطة تسامت هذا خلف لكن الحركة المستديرة موجودة فالخلاء ليس بلا نهاية والخلاء ان وجـد كان مقداراً متناهياً وكل مقدار متناه فهو مشكل فاذاً الخلاء مشكل ويكون شكله له ان وجد اما بما هو مقدار أو لسبب آخر ولكن لا يجوز أن يوجد شكل للمقدار بما هو مقدار والا لكان كل مقدارين على شكل واحد أيّ مقدارين كانا فاذاً بسبب مّا يتشكل وذلك السبب اماقوة فيه طبيعية أوقوة قهرية عن خارج فان كانت قوة طبيعية فاما أن يكون طباع المقدار يقتضي أن يكون له مثل تلك القوة أولا يقتضي فان كان يقتضي فكل المقادير شكلها واحد فاذاً تلك القوة ليس يقتضيها ذاته وكل ما كان كذلك أمكن أن يرفع عن الشئ فتلك القوة يمكن أن يرفع عن المقدار المفارق أعنى الخلاء فتترك ذلك الشكل ولكن لا يتأتى أن يبقى

بلا شكل فاذاً يأخذ شكلا آخر لامحالة فيكون قد تمدد واندفع عن هيئة الى أخرى وكلما كان كذلك فهو قابل للانفصال * وقد قيل ليس كذلك فاذاً الخلاء ليس شكله بقوة طبيعية فيه فهو اذاً عن خارج فهو اذاً قابل للتمديد والتقطيع وقد قيل ليس كذلك هذا خلف فاذاً ليس له شكل أصلا وقد قيل ان له شكلا ضرورة وهذا خلف * والذى أوجبه وضعنا وجود الخلاء فاذاً الخلاء غير موجود أصلا وهو كاسمه كما قال المعلم الأول * ولنرجع الآن ونقول * قد اتضح كل الاتضاح ان المكان لاهو هيولى الشئ ولا هو صورته وانه لا خلاء البتة * فاذاً المكان شئ غير ذلك وهو شئ فيه الجسم فاما أن يكون على سبيل التداخل واما أن يكون على سبيل الاحاطة وقد اتضح مما ذكرنا امتناع التداخل فاذاً أقول من قال ان المكان هو الابعاد التى بين غايات الجسم المحيط قول كاذب جداً وانه ليس بين الغايات شئ غير ابعاد المتمكن فاذن ذلك على سبيل الاحاطة وقد قيل ان المكان مساو فاما أن يكون مساويا لجسم المتمكن وقد قيل انه محال * واما أن يكون مساوياً لسطحه وهو نصوب ومساوى السطح سطح فالمكان هو السطح المساوى لسطح المتمكن وهو نهاية الحاوى المماسة

لنهاية المحوى وهذا هو المكان الحقيقى وأما المكان الغير الحقيقى فهو الجسم المحيط وليكن هذا غاية كلامنا فى المكان *

﴿ فصل فى النهاية واللانهاية ﴾

أقول انه لايتأتى أن يكون كم متصل موجود الذات ذو وضع غير متناه ولا أيضاً عدد مرتب الذات موجود معاً غير متناه * وأعنى بمترتب الذات أن يكون بعضه أقدم من بعض بالطبع فى ذاته ولنبرهن انه لايتأتى أن يوجد مقدار ذو وضع غير متناه لانه اما أن يكون غير متناه من الاطراف كلها أو غير متناه من طرف فان كان غير متناه من طرف أمكن ان يفصل منه من الطرف المتناهى جزء بالتوهم فيؤخذ ذلك المقدار مع ذلك الجزء شيأ على حدة وبانفراده شيأ على حدة ثم نطبق بين الطرفين المتناهيين فى التوهم فلايخلو اما أن يكونا بحيث يمتدان معاً متطابقين فى الامتداد فيكون الزائد والناقص متساويين وهذا محال * واما أن لايمتد بل يقصر عنه فيكون متناهياً والفضل أيضاً كان متناهياً فيكون المجموع متناهياً فالكل متناه * وأما اذا كان غير متناه من جميع الاطراف فلا يبعد ان يفرض فيه مقطع تتلاقى عليه الأجزاء ويكون طرفاً ونهاية ويكون الكلام فى الاجزاء أو

الجزئين كالكلام فى الاول وبهذا يتأتى البرهان على ان العدد المترتب الذات الموجود بالفعل متناه * وان مالا يتناهى بهذا الوجه هو الذى اذا وجد ففرض انه يحتمل زيادة ونقصاناً وجب أن يلزم ذلك محال وأما اذا كانت الاجزاء لا تتناهى وليست معاً وكانت فى الماضى والمستقبل فغير ممتنع وجودها واحداً قبل آخر أو بعده لا معاً أو كانت ذات عدد غير مترتب في الوضع ولا الطبع فلا مانع عن وجوده معاً ولا برهان على امتناعه بل على وجوده برهان أما من القسم الأول فان الزمان قد ثبت انه كذلك والحركة كذلك * وأما من القسم الثانى فيثبت لنا ضرب من الملائكة والشياطين لا نهاية لها فى العدد كما سيلوح لك الحال فيه وجميع هذا يحتمل الزيادة عليه ولا يفيد احتماله اياها جواز الانطباق ولان مالا ترتيب له فى الوضع أو الطبع فلن يحتمل الانطباق ومالا وجود له معاً فهو فيه أبعد * وأما السبيل التي يسلكها الناس فى نفي اللانهاية فى الماضى فكلها إما من ذائعات محمودة * وإما من مقدمات سوفسطائية وليس شئ منها ببرهانى * والاشياء التى يمتنع فيها وجود الغير المتناهى بالفعل فليس يمتنع فيها من جميع الوجوه فانا نقول ان العدد لا يتناهى والحركات لا تتناهى بل لها

ضرب من الوجود وهو الوجود بالقوة لا القوة التي تخرج الى الفعل بل القوة بمعنى ان الاعداد تتأتى أن تتزايد فلا تقف عند نهاية أخيرة ليس وراءها مزاد * ولنزد هذا بيانا * فنقول انه يقال ان غير المتناهى إما موجود بالقوة أو بالفعل إما في الوجود وإما فى التناهي والذى بحسب الوجود إما أن تعتبر كليته أو يعتبر كل واحد من أجزائه ثم كليته لا بالقوة ولا بالفعل موجودة * وأما كل واحد من أجزائه فاما أن يعتبران كل واحد منها يوصف بأنه بالقوة وقتاما أو كل وقت أو ان الكلية توصف بأن لها دائما بعض موجود بالقوة أما ان كل واحد من المعدومين فيه بحسب وقت معين وجوده بالقوة وليس كل واحد منه موصوف بأنه موجود بالقوة وقتاما وليس يصح ذلك بالفعل فهو قول صحيح * وأما أن كل واحد يوصف بأنه بالقوة كل وقت فهو ظاهر البطلان وأما ان الكلية له قد يكون منها دائما شيء بالقوة فهذا يصح من جهة ويبطل من جهة * أما من جهة بطلانه فلانه لا كلية له وأما من جهة صحته فلأن الطبيعة المعقولة التى تفرض لها آحاد تحمل عليها يصح أن يقال ان مما يحمل عليه تلك الطبيعة دائما شيأ موجوداً بالقوة ولا يجوز أن يخرج الى الفعل مالا يبقى بعده منه

شئ * وأما القسم الآخر أعنى ان كل واحـد من أجزائه بالقوة وقتاما فهو واضح الصحة فهذا من جهة الوجود وأما من جهة التناهى فانه قد يصح أن يقال للاشياء التى في طريق التكون انها تناهت بالفعل لا بحسب النهاية التى لا نهاية بعدها ولـكن بحسب نهاية مّا بعدها شئ فانها ليست بحسب النهاية التى لا نهاية بعدها متناهية بالفعل ولا بالقوة ويصح أن يقال انها غـير متناهية بالفعل دائما لا لأنها قد حصل لها كل واحد من أجزاء لا نهاية لها ولـكن من جهة انها دائماً يسلب عنها التناهى الى النهاية الاخيرة * ويصح أن يقال لها انها متناهية بالقوة دائما لا بحسب النهاية الاخيرة ولـكن بحسب النهايات الأخرى التى فى القوة بعد النهاية الحاصلة فانها دائما توصف انها بالقوة تتناهى الى نهاية مّا فيكون بالقوة دائماً بالقياس الى مالم يوجد من النهايات وبالفعل دائماً بالقياس الى ماوجـد ولا بالقوة ولا بالفعل بالقياس الى نهاية تفرض أخيرة ومالا نهاية له لا يوجد لا بالقوة ولا بالفعل أى لا تـكون أشياء عددها أو مقدارها بحيث أى شئ أخـذت منه بقى غيره منه موجوداً بكليته ومالا نهاية له موجود بالفعل دائماً أى من جهة انه لم يتناه الى نهاية مّا وليس له نهاية أخيرة فانه دائماً يوصف الموجود منه بأنه ليس متناهيا بعد

الى نهاية أخرى أو الى النهاية التى لا نهاية بعدها وما لا نهاية له موجود بالقوة دائماً أى من طبيعته دائماً شئ هو فى القوة هذا في المستقبل * فأما وجودها فى الماضى فبأنه لم يكن في الماضى لها بدء وأنها كانت واحدة بعد واحدة منذ كانت ولو أخذت تحسبها من الآن لم يقف الحساب عند حد فهذا هو كفاية القول فى التناهى واللاتناهى اللاحقين بكميات الاجسام وقد يمكن أن يستعان بما أوردناه فى ابطال الخلاء الغير المتناهى على امتناع الملاء الغير المتناهي وبأشياء أخرى كثيرة لكن هذا فى هذا الموضع كاف وأما ان صورها غير مقاديرها فينبغي أن يقال فيها قول آخر * فنقول ليس شئ من الصور الجسمانية غير المقادير بكم بذاتها وكل تناه ولا تناه فانما يقال بالذات على ما هو كم بالذات فاذاً ليس يقال ولا على شئ منها تناه ولا لا تناه بالذات ولكنه قد يقالان بوجه من الوجوه على بعض صور الاجسام لاجل نسبة لها الى ما هو كم بذاته فانه يقال قوة متناهية وغير متناهية لا لأن القوة ذات كمية فى نفسها البتة لكن لان القوة تختلف فى الزيادة والنقصان بالاضافة الى شدة ظهور الفعل عنها أو الى عدة ما يظهر عنها أو الى مدة بقاء الفعل منه وبينهما فرقان بعيد فان جل ما يكون زائداً بنوع الشدة

يكون ناقصاً بنوع المدة حتى يفعل مثل فعل الاضعف فى مدة أنقص فان أى قوة حركت أشد فان مدة حركتها أقصر وذلك ان المحرك اذا كان أشد قوة بلغ النهاية الموجودة أو المفروضة بأسرع مدة وربما كان الشئ الذى تتفاوت فيه القوى بحسب المدة لا يقبل الزيادة والنقصان فان تسكين الثقيل فى الجو لايقبل الزيادة والنقصان وتسكين الثقيل فى الجو تختلف فيه القوى في الابقاء الزمانى فان الابقاء غير التسكين فبين ان بعض ماتختلف فيه القوى بالابقاء الزمانى * لايختلف بالزيادة والنقصان وكل ما تتفاوت القوى فيه بحسب الشدة والضعف فانه يقبل الزيادة والنقصان اللهم الا أن تسمى القوة التى تقوى على مدة أطول أشد فيكون الأشدهنا باشتراك الاسم اذكان معنى الاشد فى الاول هو الذى يفعل ما يفعله الاضعف بحركة أسرع أى أقصر مدة وفى الثانى ليس هذا بل الذى يقوى على فعل أطول مدة وأماالذى تتفاوت فيه القوى بحسب المدة فهو غيرهما جميعاً لان اعتبار المدة هو فيما له ثبات واحد لان أكثر ما يعتبر فيه اللاتناهى فى العدة يتلاشى وليس شئ مما يتلاشى ثابتاً بعينه * وأما الفرق بين اللاتناهى فى العدة والشدة فذلك ظاهر لايحتاج الى ابانة *

﴿ فصل فى عدم امكان وجود قوة غير متناهية بحسب الشدة ﴾

فنقول انه لا يمكن أن تكون قوة غير متناهية بحسب اعتبار الشدة وذلك لان كلما يظهر من الاحوال القابلة لهذا فليس يخلو من وجهين اما أن يقبل الزيادة على ماظهر أولا يقبل فان كان لا يقبل فهو النهاية في الشدة وكل نهاية فى الشدة ففى متناهى الشدة فاذن ان كان لا يقبل فهو متناهى الشدة وان كان يقبل وهو الباقى فهو متناه يجوز عليه زيادة في آخره وقدفرض غيرمتناه هذاخلف *

﴿ فصل فى عدم قبول القوة الغير المتناهية بحسب المدة للتجزي والانقسام ولا بالعرض ﴾

وأقول لا يمكن أن تكون الغير المتناهية باعتبار المدة قابلة للتجزئ بوجه من الوجوه ولا بالعرض لان كل قوة تجزأت فان كل واحد من أجزائها يقوى على شئ - والجملة تقوى على مجموع تلك الاشياء * واذا كان كذلك كان كل جزء أضعف وأقل مقويا عليه من الجملة * فاذاً لا يخلو اما أن يكون كل واحد من أجزاء هذه الجملة يقوى على جملة غير متناهية مما يقوى عليه الجملة من وقت معين وهذا محال لان مقوى الجملة يكون أزيد منه * ولا تتأتى لزيادة على غير المتناهى المتسق النظام الا على الطرف الذى

يتناهى اليه أو تكون الأجزاء بعضها يقوى على متناه وبعضها على غير متناه ويكون القول فيها كالقول فى الأول وذلك أيضاً محال فاذا يكون كل واحد من أجزاء الجملة يقوى على متناه وتكون الجملة أيضاً تقوى على متناه *

﴿ فصل في عدم قبول القوة الغير المتناهية بحسب العدة للانقسام والتجزى ﴾

وكذلك نبين أنه لا يمكن أن يكون لقوة قوية على عدة غير متناهية احتمال التجزى فان تلك العدة لا تخلو إما أن يكون كل واحد منها ليس من شأنه أن يقبل الأقل والأنقص مثل تعقلنا أن اثنين واثنين أربعة أو تكون قد تقبل مثل كل واحد من عدد الحركات فان الحركة قد تكون أسرع وأبطأ فاذا كان الكل يقوى على عدة غير متناهية من أشياء لا تقبل الأقل والأنقص فبعض الكل إما أن يقوى على شىء من ذلك أو لا يقوى ألبتة فان لم يقو لم يكن بعض القوة قوة هذا خلف وان قوي فإما أن يقوى على آحاد مثل آحاد ما يقوى عليه الكل وهى بعينها غير متناهية أو آحاد كذلك وهى متناهية أو آحاد كل واحد منها أقل من آحاد الكل وهى غير متناهية أو آحاد كل واحد منها أقل

من آحاد الكل وهى متناهية * والقسم الأول محال لأن البعض يكون مساويا للكل فيما يقوى عليه اذا فرضنا عن ابتداء محدود والقسم الثانى يلزم منه أن تكون الأبعاض تقوى على متناهيات فالجملة أيضاً تقوي على متناه والقسمان الباقيان موجبان أن يكون كل واحد مما يقوى عليه يقبل الأقلّ والأزيد وقدقيل انه لا يقبل فبيّن أن القوة المذكورة لا تقبل التجزى وكذلك اذا كانت الآحاد تقبل الأقل والأكثر كالحركة وعودات حركات الفلك وذلك لأن الكل يجوز أن يخالف الجزء فى أن الكل يقوى على تحريك جسم مّا والجزء لا يقوى عليه البتة فانه ليس اذا حرك جماعة ثقلا مّا فى مسافة مّا فى زمان مّا فالأقل منهم يحركونه لا محالة فى ذلك الزمان فى أقلّ من تلك المسافة بل ربما لم يحركونه أصلا ويجوز أن يخالفه فى أن كليهما يقوى على تحريك شيء واحد لكن الكل يحرك أسرع * أما القسم الأول فان للبعض من القوة ان لم يقو على أن يحرك ذلك الذى يحركه الكل فقد يقوى على أن يحرك مقدارا أقل منه ثم الكل يمكنه أن يحرك ذلك المقدار الذى يحركه الجزء حركات أسرع فاذا كانت أسرع كانت فى مثل ذلك الزمان الذى يحرك فيه الجزء يحرك أكثر

عدداً فيرجع حينئذ الخلف الذي ذكرناه وهو أن العدد المبتدأ من وقت معين ان صدر عن الجزء كان أقل منه لو صدر عن الكل اذ هو أبطأ فيكون هو بعض الصادر عن الكل وابتداءهما واحد فاذاً يجب أن ينقص المقوى عليه لا من جهة المبتدا وما نقص من جهة فهو متناه منها فالذى يصدر عن الجزء متناه من الجهات ويلزم ما قد ذكرنا وتبين من بيان ذلك استحالة القسم الثانى وهو أن يشتركا فى الفعل ويكون الخلاف فى الأشد والأضعف فكل قوة فى جسم فانها تحتمل التجزى حافظة لطبيعتها لأن ما يبطله التجزى فهو إما شكل وإما عدد وليس شىء منهما بقوة فاذاً ليس شىء من القوى الغير المتناهية موجوداً فى الجسم ولا قوة جسمانية غير متناهية فاذاً القوة التى تحرك الحركة الأولية المستديرة التى لا نهاية لها ليست بقوة جسمانية بل محرك الحركة الأولية غير جسم ومفارق لكل جسم *

﴿ فصل فى الجهات ﴾

أقول انه ان كان خلا فقط أو أبعاد مفروضة فى جسم مفروض أو جسم واحد فقط غير متناه فلا يمكن أن يكون للجهات المختلفة بالنوع وجود البتة فلا يكون فوق وأسفل ويمين ويسار وخلف

وقدام وأقول أولا أنه لا يمكن أن تكون الجهة ذاهبة الى غير النهاية لأن كل جهة موجودة فاليها اشارة ولذاتها اختصاص وانفراد عن جهة أخرى وذاتها حينئذ لا تخلو إما أن تكون متجزئة أو غير متجزئة فان كان ذاتها متجزئة وجب أن لا تكون بكليتها جهة بل تكون الجهة منها الجزء الأبعد من جزئها عن المشير * وبالجملة ما يكون لها امتداد فى جهة لا تكون بنفسها جهة فيجب أن تكون ذاتها غير متجزئة لا محالة واذا كان ذاتها غير متجزئة وكانت موجودة ذات وضع كانت لا محالة حداً أو غاية فكأن ما وراءها ليس منها فتكون كل جهة لها حدّ ضرورة لا يتجاوز وتكون الجهة باقية فاذاً الجهات كلها محدودة بأطراف ولو فرضنا خلاء غير متناه أو جسما غير متناه لم يكن له أو فيه بالطبع حد فلم يكن فيه بالطبع جهة وأيضاً اذا اتفق أن يفرض فيه حدود لما أمكن أن تكون مختلفة بالطبع فيكون مثلا واحد فوقا والآخر سفلا لأن كل طرف وحد يفرض فيه فانه لا يخالف الآخر الا بالعدد لأن كلها حدود وأطراف تفرض في طبيعة واحدة وليس واحد منها يختص بشيء يكون لأجله أولى من غيره بالسفلية منه بالفوقية أو من غيره بالفوقية منه بالسفلية * وأقول ان الجسم الواحد

المتناهى لا يجوز أن يفرض الجهات المتقابلة فيه على أن حدودها في سطحه أو على أن حدودها في عمقه ولم يجز أن تكون حدودها فى سطحه لأن حـدودها التى تكون فى سطحه لا يخلو إما أن تكون وسطحه كرى أو تكون وسطحه مضلع فان كان سطحه كريا لم تكن النقط المفروضة فيه متخالفة بالنوع ولا كانت هذه النقطة أولى بأن تكون فوقا من أخرى بأن تكون سفلا وكذلك يمينا وشمالا وأما ان كان سطحه مضلعا فليس ذلك على مانبينه بعد بطبيعى له فانا سنوضح أن الجسم البسيط شكله الطبيعى كرى والأجسام لا تلزم الأمور الخارجة عن طبعها ومع ذلك فانه ان كانت الجهات تختلف بحسب تقابل أضلاع السطح أو بحسب تقابل السطوح فالكلام فى أن الجهات تكون مختلفة بالعدد لا بالنوع ثابت * فان قال قائل ان الذى على البسيط يخالف الذى على الخط أو الذى على الخط يخالف الذى على النقطة فيكون قد قال ما لا يصغى اليه ولا يقع بسببه بين الجهات غاية الخلاف الذى هو واقع فى مثل العلوّ والسفل وكذلك الحال ان فرضت الحدود فى عمقه وان فرض حدّ فى سطحه وآخر فى عمقه وجب ذلك بعينه الا أن يجعل السطح نفسه حدّا وحينئذ يجب أن يجعل الحد الآخر

مايرتسم بازاء السطح ضرورة لا أى نقطة اتفقت بالفرض فى العمق وأن يكون مع ذلك فى غاية البعد عنه وهذا هو المركز لا غير خصوصاً ان جعل الجسم على الشكل الطبيعى الذى يخصه وهو الاستدارة فليس يمكن أن يفرض في الوجود جسم واحد ويكون فيه من الجهات غير جهتى المحيط والمركز وأما ان كانت الاجسام كثيرة فان كانت متفقة النوع فليس يجوز أن تكون الحدود المفترضة عليها بحيث يوجد فيها حدود الجهات المتضادة وذلك ظاهر * وان كانت مختلفة فليس يمكن أن تكون علة اختلاف الجهات هو اختلافها فى النوع * وذلك لان هذا يوجب أن يكون عدد الجهات على حسب عدد الاجسام المختلفة بالنوع * فان جعل العلة فى ذلك لا الاختلاف المطلق ولكن اختلاف مّا بعينه فلا يخلو اما أن يكون ذلك الاختلاف مقتصراً على اختلاف تلك الطبيعتين أو يكون مع ذلك مشتملا على اختلاف الوضعين * والاقتصار على اختلاف طبيعتين بأعيانهما لا يجوز أن يكون علة لتضاد الجهات لان احدى الجهتين اذا تعينت تعينت الاخرى وكانت على بعد محدود ولم يمكن أن تتوهم زائلة عن حدها * واذا كان الشرط مخالفة تينك الطبيعتين دون الوضعين كانت الجهتان الاثنتان

متضادتين كيف كان وضع أحدهما من الآخر وبعده منها * وكانت الجهة تنتقل بانتقال أحد الجسمين وليس الأمر كذلك بل اذا تعينت احدى الجهتين تعينت الأخرى في حدها وبعدها ولم تنتقل البتة فبقى انه يجب أن يكون فى جملة الشرط وضع ما محدود وبعد مقدر * وليس يمكن أن يكون هذا أيضاً الا على سبيل المركز والمحيط * وذلك لأن أحد الجرمين اذا فرض له وضع وفرض الآخر بجانب منه غير محيط به لم يكن اختصاصه بذلك الجانب بعينه بالعدد اختصاصاً لطبيعته لان طبيعته لاتخلو اما أن تكون تطلب ذلك الجانب بعينه أو تطلب أى جانب يكون بعده من الآخر ذلك البعد ونوعه منه ذلك النوع * فان كانت طبيعته تختص بذلك الجانب وتباين سائر مايشاركه فى النوع فتكون هذه الجهة مباينة لسائر الجوانب لذاتها لا من جهة هذا الجسم لانها لو كانت من جهة هذا الجسم لكانت بحيث يكون حالها كحالها مع غير هذا الوضع بعينه وقد فرضنا هذه الجهة متحددة به هذا خلف * وان كان من طبعه ليس يقتضى الاختصاص بذلك الجانب منه كيف اتفق بل أى بُعد كان من الجسم الاول مساويا للبعد الاول فان كان الجسم الأول محيطاً كان هذا محاطاً ومكانه محاط ذلك

الجرم على قياس المركز وأعني بالمركز لا النقطة بعينها بل كل محاط
وان كان غير محيط فالبعد منه كيف كان هو متحدد لا محالة بمحيط
بذلك الجسم اذ بينا ان ذلك لا يتحدد بالخلاء * وقد فرض هـذا
غير محيط وعلم ان اختصاصه بذلك من جملة ماله أن يحصل فيه
اذ ليس عن طبيعته فهو عن سبب خارج فهو جائز المفارقة لذلك
الموضع بعينه وهو يطلبه بالطبع فهو حاصل متميز قبل حصول هذا
الجسم فيه وقد قيل ان الجسم سبب تحدده هذا خلف فهـذا غير
محدد ذلك البعد وقد فرض محددا هـذا محال فقد بان وصح انه
لا يمكن أن تتحدد الجهات إلا على سبيل المحيط والمحاط فاذا كان
كذلك كان التضاد فيها وهى غاية البعد بينهما على سبيل المركز
والمحيط فان كان الجسم المحدد محيطا كفى لتحديد الطرفين لأن
الاحاطة تثبت المركز فيثبت غاية البعد منه وغاية القرب منه من غير
حاجة الى جسم آخر وأما ان فرض محاطاً لم يتحدد به وحده الجهات
لان القرب متحدد به وأما البعد منه فليس يتحدد به بل يتحدد لا محالة
بجسم آخر اذ كان لا يجوز أن يتحدد فى الخلا ولا بد على كل حال من
وجود جسم محدد للجهات بالاحاطة فيكون ذلك الجسم كافيا فى تحديد
النهايتين جميعا من غير حاجة الى المحاط ويجب أن تكون الاجسام

المستقيمة الحركة لا يتأخر عنها وجود الجهات لأمكنتها وحركاتها بل تكون الجهات قد حصلت ثم تحركت بحركاتها فيجب أن يكون الجسم الذى تحدد الجهات بالنسبة اليه جسما متقدما على الاجسام المستقيمة الحركة وتكون احدى الجهات بالطبع غاية القرب منه وتقابلها الجهة الأخرى فتكون غاية البعد منه وأن لا تكون الجهات المفروضة فى الطبع غير جهتى المحيط والمركز وهما جهتا الفوق والسفل وسائر الجهات لا تكون واجبة فى الأجسام بما هى أجسام بل بما هى حيوانات فيتميز فيها جهات القدام الذى اليه الحركة الاختيارية واليمين الذى منه مبدأ القوة والفوق أما بقياس فوق العالم وأما الذى اليه أول حركة النشوء ومقابلاتها الخلف واليسار والسفل والفوق والسفل محدودان بطرفى البعد الذى الأولى به أن يسمى طولا واليمين واليسار كذلك بما الأولى ان يسمى عرضاً والقدام والخلف كذلك بما الأولى أن يسمى عمقاً *

المقالة الثالثة

في الأمور الطبيعية وغير الطبيعية للاجسام

الأجسام منها بسيطة ومنها مركبة فأما المركبة فتثبت بالمشاهدة

وأما البسيطة فتثبت بتوسط المركبة لأن كل مركب فانما يتركب عن بسائط وللاجسام كلها أحياز ضرورية وهى التى تتباين بها الاجسام فى الجهات بأوضاعها ولبعضها أمكنة وهى الاجسام التي تحيط بها أجسام أخر *

﴿ فصل فى أن لكل جسم طبيعى حيزاً طبيعياً ﴾

فأقول أن لكل جسم حيزاً ومكانا طبيعيا لانه إما أن يكون كل مكان له طبيعيا أو يكون كل مكان له منافيا لطبيعته أو يكون كل مكان مكانا له لا طبيعيا ولا منافياً لطبعه وأعنى ههنا بالمكان الحيز والمكان جميعاً أو يكون بعض الامكنة له بحال وبعضها بخلافه ولا يمكن أن يكون كل مكان له طبيعيا فانه يلزم منه أن يكون مفارقة كل مكان له خارجة عن طبعه وتوجهه نحو كل مكان توجهاً نحو ملائم بالطبع وليس شىء مما هو توجه نحو الملائم خارجا عن طبعه هذا خلف وأيضاً فان الاحياز غير متفقة فى استحقاق أن يكون فيها أجرام فان منها علواً ومنها سفلا وتوجد في المشاهدة أجسام تتحرك الى أسفل وأجسام تتحرك الى العلوّ فاذاً الجسم اذا استدعى مكانا من الأمكنة فليس ذلك بما هو جسم اذ الاجسام تتفق فى الجسمية وتختلف فى استحقاق

الامكنة فاذاً انما تستدعيها بقوّة فيها والقوّة التي فيها إما قوّة ذات اختيار وهي اذا رفعت لم يبطل وجود الجسم ولا بطل استدعاء المكان وإما قوّة طبيعية فاذاً استدعاء المكان موجود لكل جسم وان لم يكن هناك قوة اختيارية وان كان هناك قوة اختيارية فليس ذلك عنها بل عن قوة طبيعية اذ الجسم اذا استحق أن يكون في مكان معين استحق ذلك ما دام على نوعه وان اختلفت أغراضه الارادية * وهذه القوة الطبيعية ان كانت واحدة فيه فمقتضاها لذاتها واحد من الامكنة لا كل مكان وان كانتا اثنتين متساويتين واختلف اقتضاؤهما للمكان لم يحصل الجسم فى مكان واحد منهما وإلا فهو الغالب وان كان ولا بد فانما يحصل فى المكان المتوسط بين مكانيهما لتشابه تجاذب القوّتين وهو أيضاً واحد وان كانت اثنتين متقاومتين فحصوله بالطبع فى مكان الاغلب وهو أيضاً واحد وبيّن من هذا القول ان المكان الطبيعي ان كان فهو واحد فاذاً لا يمكن أن يكون كل مكان طبيعيا له ولا أيضاً يمكن أن يكون كل مكان خارجا عن الطبع منافيا له فان هذا الجسم لا يسكن البتة بالطبع وكيف يسكن وكل مكان مناف لطبعه والسكون بالطبع فى المكان الطبيعي ولا يتحرك البتة بالطبع وكيف يتحرك

والحركة بالطبع تختص بجهة مطلوبة بالطبع واذا تحرك اليها وحصل عندها إما أن يقف فى آخر تلك الحركة اذا انتهت المسافة ولا بد من انتهائها فيكون ذلك المكان طبيعيا له أو يعود بالطبع الى جهة أخرى فتكون تلك الجهة تختص بالطبع وقد كان غيرها يختص بالطبع هذا خلف * فاذاً هذا الجسم لا يتحرك بالطبع ولا يسكن وهذا خلف جدا * فاذاً ليس كل مكان منافياً له ولا أيضاً يمكن أن يكون كل مكان لا طبيعيا ولا منافياً لانا اذا اعتبرنا الجسم على حالته الطبيعية وقد ارتفع عنها القواسر والعوارض التى تعرض من خارج بل تركناه وهو جسم فقط فحينئذ لا بد له من حيز يختص به ويتحيز اليه لا عن قاسر بل عن نفسه فيكون على كل حال للجسم تحيز فى تلك الحالة الى ذلك الحيز بالطبع وكل ما كان كذلك فهو حيز طبيعى فبيّن من هذا ان كل جسم فله مكان طبيعى واحد بعينه *

﴿ فصل فى أن لكل جسم طبيعى شكلا طبيعيا ﴾

ونقول أيضاً ان لكل جسم شكلا طبيعيا وذلك بيّن من أن كل جسم متناه وكل متناه يحيط به حد أو حدود وكل ما يحيط به حد أو حدود فهو مشكل فكل جسم مشكل وكل شكل إما

طبيعي وإما قسرى واذا ارتفعت القسريات فى التوهم بقى الطبيعى وهو للبسيط كرى لأن فعل الطبيعة الواحدة في مادة واحـدة متشابه اذ ليس تفعل إلا فعلا واحداً فلا يمكن أن تفعل فى جزء زاوية وفى جزء خطاً مستقيما أو منحنياً فينبغى اذاً أن تتشابه جميع الاجزاء فيكون الشكل حينئذ كريا * وأما المركبات فتكون أشكالها الطبيعية غير كرية *

﴿ فصل فى أن الامكنة الأولى هى أمكنة البسائط ﴾

وأقول ان الامكنة الاولى للاجسام البسيطة لأن المركبة اذا تركبت لم يخل إما أن تتركب من أجزاء متساوية القوى فيتساوى فيها استحقاق التمكن فى أحياز الاجسام البسيطة فلا يكون لها بالطبع شيء من أمكنة البسائط ولا أيضاً لها بالطبع مكان غير تلك الامكنة لان الاجزاء كلها تتفق فى أن ذلك المكان مكان خارج عن طبعها اذ ليس مكان شيء منها والكل جملة الاجزاء وليس لجملة الاجزاء مكان خارج عن أمكنة الاجزاء الا منـاف وان لم تكن متساوية القوى فالمكان الطبيعى هو المكان الغالب وأما اذا كان الجسم مركبا من اسطقسين فقط فيمكن أن يكون التركيب فيها من أجزاء ذات قوى متساوية لانه اذا كان مكانا

بسيطيهما متجاورين كان مكانه الطبيعى فى الحد المشترك بينهما ولا يمكن أن يتركب من أجزاء متساوية القوى فوق اثنين جسم البتة فانه ان تحرك الى جهة مكان من الامكنة بالطبع فقوة بسيط ذلك المكان فيه غالبة وان سكن فى حيز من الاحياز بالطبع فقوة بسيط ذلك الحيز فيه غالبة ومحال أن لا يتحرك ولا يسكن فاذاً لا يتركب من بسائط فوق اثنتين متساوية القوى شيء — ولهذا زيادة تلخيص مكانه الكتب المبسوطة *

﴿ فصل فى أن العالم واحد وانه لا يمكن التعدد ﴾

وأقول ان الاجسام بما هى أجسام لا يمتنع عليها الاتصال فاذاً ان كانت أجسام لا تتصل فلعله لان صورها صور تمانع أن تتحد فيكون بينهما منافرة فى الطبع فاذاً الاجسام البسيطة المتشابهة الصور ليس يمتنع عليها الاتصال أو الانفصال بحسب مقتضى طبائعها واذا فرضت متصلة أو منفصلة تحيزت الى حيز واحد وصار مكانها واحداً واذا افترقت وقوتها تلك القوة بعينها فمكانها ذلك المكان بعينه الذى صارت اليه في حال الاتصال والانفصال اذ قلنا انه لا يمكن أن يكون لجسم واحد مكانان طبيعيان فاذاً الاجسام المتشابهة الصور والقوى حيزها الطبيعى واحد وجهتها

الطبيعية واحدة فبيّن من هذا انه لا يكون أرضان في وسطين من عالمين وناران في أفقين محيطين من عالمين فانه ليس توجد أرض بالطبع الا في عالم واحد وكذلك النار وسائر الاجرام واذا كانت الامكنة الأولى للاجسام البسيطة وكانت أمكنة البسائط اذا انتهت فهناك تنتهي أمكنة الاجسام كلها وكانت البسيطة اذا كانت على مقتضى طبايعها وأشكالها الطبيعية كانت مستديرة اذ الشكل الطبيعي للبسيط مستدير فيجب أن يكون الكل كرة واحدة ثم ان وجد عالم آخر كان أيضاً مستديراً ووقع بينهما الخلا ضرورة فيكون فرض الممكن وهو كون الاجسام على مقتضى طبائعها قد لزم منه محال وهو وجود الخلا ومحال أن يلزم ممكناً محال فبيّن من هذا انه لا يمكن أن يكون عالم آخر غير هذا العالم بل العالم واحد ولأنا لسنا في أفقه لأنا نحن في حيز الاجسام التي من شأنها أن تتحرك بالاستقامة فواجب أن يكون أفق العالم حيث الجسم الذي ليس من شأنه أن يتحرك على الاستقامة بل هو الجسم الذي بالقياس اليه تكون جهات الحركات المستقيمة وهذا الجسم يجب أن يكون بسيطاً لانه لو كان مركباً كانت له أجزاء منها ركب وكانت قابلة للحركة الى الاجتماع والانفصال وذلك في الاستقامة

وكان أيضاً قد تقررت الجهات قبله للبسائط وهذا كله محال وإذا
كان بسيطاً كانت أجزاؤه متشابهة وأجزاء مايلاقيه وأجزاء مكانه
كذلك فلم تكن بعض الاجزاء أولى بأن تختص ببعض أجزاء
المكان * وبالجملة لم يكن بعض الأوضاع أولى به من بعضها ولم يجب
أن يكون شيء منها له طبيعيا فانه لايخلو إما أن يتخصص جزء من
المتمكن بذلك الجزء بعينه من المكان لطبيعته فقط أو لطبيعته
وعارض مخصص مثل اختصاص هذا الجزء من الارض بهذا الجزء
من المكان لانه حدث هناك فأوجب طبعه الاختصاص به لامتناع
حركته عن الجزء الطبيعي أو لانه كان وقع خارجا عن حيزه وقوعا
يحاذى به هذا الجزء من المكان فانتقل اليه بعينه لانه كان أقرب
منه * وبالجملة أي عارض كان مما يخصصه بهذا الجزء بعينه ويحصله
فيه فهذان هما قسما وجه حصول الجزء فى جزء من مكانه الطبيعي
والقسم الاول باطل لانه لو كان لطبيعته وحدها ما اختص بهذا
الجزء من المكان بعينه فما يشاركه فى طبعه يشاركه في هذا المعنى *
والقسم الثانى كذب اذ قد بان ان هذا الجسم متقدم على الاجسام
الكائنة الفاسدة وانه لا يفارق مكانه الطبيعي حتى يعود اليه وان
كان هذا الجسم من شأنه ان يكون على هذا الوضع لعلة عارضة

وأن لا يكون عليه لولا العلة فقد حصل مطلوبنا * ومطلوبنا ههنا هو هذا وهو انه لايجب ضرورة أن يكون هذا الجسم على هذا الوضع ولا أن لايكون ولا أيضاً هذا بممتنع فهوأمر ممكن غير ضروري والممكن اذا فرض موجوداً لم يعرض منه محال فليس من المحال أن لايكون على هذا الوضع ففي طباعه أن يزول عن هذا الوضع أو الأين بالقوة *

﴿ فصل في اشتمال الفلك على مبدأ حركة مستديرة ﴾

فنقول ان ما كان في طباعه هذا فيجب أن يكون بالضرورة فيه مبدأ حركة ما مستديرة ونقدم له مقدمة وهي ان كل جسم لاميل له في طبعه فانه لايقبل الحركة عن سبب من خارج * وذلك انه اذا كان في الجسم ميل الى جهة وحركة الى خلافها فكلما كانت القوة الميلية التي للجسم في ذاته أشد كان قبوله للتحريك الخارج ابطأ وكلما كانت القوة أضعف كان القبول أشد والتحريك أسرع ويكون نسبة السرعة الى البطؤ كنسبه قلة الميل الذي في ذاته الى كثرته حتى لو توهم الميل ينتقص دائما لكانت السرعة تزداد دائما فاذا لم يكن ميل البتة وتحرك عن سبب لم يكن بدّ من أن يتحرك في زمان ويكون لذلك الزمان الى زمان المتحرك عن تلك

القوة وقد فرض له ميل ما نسبة ما الأن لكل زمان الى زمان آخر نسبة ما * فاذا فرضنا فى التوهم ميلا نسبته الى الميل المفروض أولا فى الشدة والضعف نسبة الزمانين . وقع تحرك ذى الميل والذى لاميل له فى زمان واحد فيكون الذى فيه عائق يقاوم القوة المحركة ويكسر فعلها على نسبة شدته وضعفه كالذى لاعائق فيه بل يكون ما فرض فيه ميل هو أضعف ميلا من الميل المفروض ثانيا يقبل التحريك أشد من الذى لاميل له هـذا خلف * فانه لا يجوز أن يكون المتحرك العادم للميل يتحرك عن قوة محركة حركة تكون كحركته لو كان له ميل بوجه من الوجوه فقد بان وصح ان كل قابل تحريك ففيه مبدأ ميل الى جهة بالطبع * واذ هـذا الجسم قابل للتحريك ففيه مبدأ ميل وليس الى الاستقامة فهو الى الاستدارة فهو بالطبع يتحرك على الاستدارة *

﴿ فصل فى اثبات ان الحركة المبدعة واحدة بالعدد ومستديرة ﴾

ونقول أيضاً اذا ثبتت حركة مبدعة ليس لها ابتداء زمانى فليس يمكن أن يكون ثباتها بالنوع لان ثباتها ان كان بتعاقب الآحاد لم يمتنع أن لا يلحق متصرمها متجددها * ويمتنع أن تتصرم مثل هذه الحركة فاذاً تلك الحركة واحدة بالعدد ولا يمكن أن تكون

مستقيمة لان كل حركة مستقيمة تأخذ فى مسافة مستقيمة أو غير مستقيمة فلها طرف ومقطع بالفعل واذا بلغت القوة المحركة تلك الغاية في الحركة فذلك تأثيرها بل تكون هى قوة واحدة مميلة اليه موصلة فتكون تلك الامالة والايصال اليه بتلك القوة التى هى ميل أو مبدأ ميل فان كل حركة تكون بميل وتلك القوة كما توصل تكون موصوفة بأنها فعلت الايصال وتكون موجودة لا محالة وان كانت لا تسمى عند ذلك ميلا أو مبدأ ميل * فان كل تأثير يحصل فموجبه حاصل معه وما دام موجوداً لم يحدث ميل آخر فانها تكون موصلة فقط ويكون الجسم المتحرك بها ساكناً فاذا ابتدأت حركة أخرى يجب أن يحدث ميل آخر وأن يبطل هذا ضرورة والميل من جملة مايحدث فى آن ليس ممايصار اليه فيحدث بعد زمان . فان كان يحدث في آن فيحدث فى آن لا يكون فيه الميل الآخر موجوداً فان كان بينهما زمان كان زمان سكون * وان كان لازمان تشافع آنان وهذا محال وان كان أيضاً مما لايجوز أن يكون وهو أن يحدث الميل الثانى فى زمان فالى أن لايحدث لايكون سبباً للتحريك فلا تكون حركة * فاذاً يجب أن ينتهى ميل هذه الحركة الى سكون * فاذاً كل حركة مستقيمة يعقبها

سكون * وكذلك كل حركة فى مسافة ذات نهاية معينة ولا تتصل حركتان على التوالى * فاذاً ليس شئ من الحركات المستقيمة ولا من المركبة من المستقيمة بتلك الحركة المبدعة فاذاً تلك المبدعة هى المستديرة ولجسم واحد بالعدد . فاذاً هذا الجسم مبدع فمن الاجسام أجسام مبدعة ومنها أجسام تقبل الكون والفساد بعدها وهذا مشهور ظاهر * فينبغى أن يكون أحياز الاجسام الاولية المبدعة متجاورة وأحياز الكائنة الفاسدة متجاورة * وذلك لان الأجسام اذا كان استحقاقها لخصائص أمكنتها بصورها وطبائعها * فاذا تناسبت صورها تجاورت أمكنتها واذا تنافرت تباعدت أمكنتها * فاذاً ينبغى أن يكون احدى جملتى الحيزين لما ذكرنا من جملة العالم بكليتها مطيفة بالاخرى وتكون مشتملة على الأحياز السماوية للاجسام التى يستحقها في العدد وقد يمكن أن يكون جسم واحد بسيط كرى فيه جسمان مختلفان فى التمكن كما ان الارض والقمر فى فلك القمر ولكن لا يمكن أن يكون مثل هذا الجسم مبدعا وكلا الجسمين فاسدين لان احياز الفاسدات جملة لا يتخللها مبدع كما تبين * ويمكن أن يكون كلاهما مبدعين ـ وكذلك لا يمكن أن يكون المحيط فاسداً وكلا المحاطين بالطبع ابداعيان ولا أيضاً

أحدهما وحده ابداعي والقوة المحركة للحركة الابداعية غيرمتناهية فليست اذاً بجسم فهى اذاً مباينـة فهى اذاً تحرك بتوسط قوة جسمانية كما قيـل فى المبادى والحركة المستديرة فهى اذاً تحرك بتوسط قوة جسمانية هى نفس * فاذاً لتلك النفس تأثير في الحركة من جهة قبول طبيعى من تلك القوة المفارقة وتحرك طاعة وشوقا انبثا فى طبع تلك النفس كطاعة قوة الحديد لقوة المغناطيس وهو اختيار وارادة لازمة للجوهر *

* فصل فى الاجسام المتكونة *

وأما الاجسام التى تتكون منها الـكائنات المركبة فانهـا اذا اجتمعت اتحدت بالالتحام وليس ذلك لها بما هى أجسام والافكل جسمين اذا التقيا التحما فاذاً تلك بقوى تفعل بها بعضها فى بعض وينفعل بها بعضها عن بعض وينبغى أن تكون تلك الاجسام فى حيزنا هذا لان العلم واحد*وحيز الفاسدات واحد وفى هذا الحيز فاسدات فهو هو * وهذه الاجسام تشترك فى مبادى الكيفيات الملموسة وفى الطباع الموجبة لها وهـذه اما أن تكون هى صور الاجسام أو لازمة لصورها ولا تشترك فى سائر الكيفيات فاذاً القوى التى تمايزبها الاجسام البسيطة التى تتركب منها هذه المركبة

هي من الكيفيات الملموسة وجميع الكيفيات الملموسة اذا عدت ترجع الى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة * وهذا سهل الوضوح عند التأمل * فان الصلب واللين * واللزج * والهش * وغير ذلك يرجع الى الرطوبة * واليبوسة * والفاتر هو بين الحار والبارد * وليس شئ من الكيفيات الملموسة الاولى يفعل بعضها فى بعض بالتغير الصادر عنه تغير الاجسام الا الحرارة والبرودة وذلك لان القوة تغير الجسم فيما قلنا * اما أن تغيره بالخلخلة والتحليل فيولم الحاس منه * وأما أن تغيره بالتقبيض والتكثيف فيولم الحاس منه * والاولى حرارة والثانية برودة * ولكن الاجسام يلزمها ضرورة مع هاتين القوتين قوتان انفعاليتان لان كل جسم بسيط موضوع للمركب فانه منفعل قابل للتشكيل والتقطيع ولذلك يمكن أن يتركب عنه شئ فاما أن يكون سهل القبول للتفريق والجمع والتشكيل والدفع فتكون كيفية تلك رطوبة * وأما أن يكون عسر القبول كذلك فتكون كيفية تلك يبوسة وما كان سهل القبول فهو سهل الترك لان طباعه معرض للانفعال وما كان عسر القبول فهو أيضا عسير الترك * فبين من هذا أن بسائط الاجسام المركبة تختلف وتتمايز بهذه القوى الاربع ولا يمكن أن

يكون شئ منها عديما لواحدة من القوتين الفاعلتين وواحدة من القوتين المنفعلتين لان هذه الاجسام من شأنها أن تفترق وتجتمع والا لما اتصلت منها أجزاء فحصلت منها المركبات ومن شأنها أن تختلف عليها الاشكال والهيآت فتقبلها وتحفظها والتفريق والجمع لا يتم الا بقوة جامعة وأخرى مفرقة والتشكيل وحفظه لا يتم الا بقوة سهلة القبول وأخرى عسرة الترك * فاذاً الاسطقسات أربع * جسم حار يابس وآخر حار رطب * وآخر بارد رطب * وآخر بارد يابس *

﴿ فصل فى الكلام على صور هذه الاجسام وكيفياتها وبيان الفرق بينهما ﴾

ويجب أن ننظر ونبحث عن هذه الكيفيات هل هى صور لهذه الاجسام وكفصول مقومة لها أو هى لوازم ولواحق والحق ان هذه لوازم لصورها * وذلك لان هذه كما تظهر قد تشتد وتضعف بل قد تبطل بالفعل عنها * فيكون مثلا نار أسخن من نار وماء أبرد من ماء بل ليس بالفعل بارداً * ومع ذلك فان حقيقة النارية والمائية ثابتة وغير قابلة للتنقص والاشتداد * فيجب اذاً أن تكون هذه الكيفيات لوازم وتوابع للصور المقومة وتلك الصور يلزمها بالطبع هذه الكيفيات أى اذا تركت وطباعها ولم

يمانعها من خارج ممانع ظهر منهـا فى اجرامها حرّ أو برد *
ورطوبة أو يبس * كما انها اذا تركت ولم يمنعها ممانع ظهر منها
اما فى المواضع الخارجة عن الطبع فميل وحركة وأما فى مواضعها
فسكون وليس بعجب أن تكون صورة واحدة تلحقها تسكين
فى مكان وتحريك اليه * وتأثير بكيف فاعل واستعداد بكيف
منفعل فمعنى قولنا انها باردة بالطبع أى لهـا قوة تبرد بذاتها اذا لم
تمنع الا أنا اذا عدمنا للقوى أسماء موضوعة اشتققنا لهامن أفعالها
أسماء كقولنا قوة ناطقة للقوة التى تختص بالانسان *وهذه القوى
التى ذكرناها تفعل أولا فى أجسامها هذه الاحوال * ثم بتوسطها
تفعل في الاجسام الاخرى كما انها تحدث الحركة فى نفس جرمها
ثم بتوسطها تحدث تحريك شئ آخر بالدفع * وهذه الاجسام اذا
كان قد يمكن أن تفارق أجزاؤها كلياتها فيمكن أن يكون لها
حركة بسيطة طبيعية وذلك اذا فارقت كلياتهـا وسكون طبيعى
وذلك اذا واصلت كلياتها وأما الجسم المتحرك بالاستدارة فـلا
يمكن البتة أن يسكن بالطبع لان الحركة الدائمـة لا تنقطع * ولا
أيضا يمكن أن تتحرك بالاستقامة بالطبع لان هذا الجسم لا يمكن
أن يفارق موضعه الطبيعى بالكلية ولا بالاجزاء والا لم يكن المبدأ

الاول في تحديد الجهات ولا أيضا يحتمل الانفصال والانفكاك * والا لاحتمل الاندفاع الى جهات غريبة وكان فى طبعه مبدأ حركة مستقيمة كما علمت * فبين من هذا أن هذا الجسم لا يتحرك بغير الاستدارة ولا أيضا يسكن البته بوجه من الوجوه فلا يكون اذاً للنفس المحركة له مادامت موجودة فيه قوة على أن لا تتحرك لان هذ امحال ولا قوة على المحال * فاذاً هذا الجسم متحرك بالطبع وان لم يكن متحركا بالطبيعة الساذجة بل بالنفس وهذا الجسم بسيط لا محالة كما قلنا لانه لو كان متركبا من بسائط لكان غير ممتنع أن يعود الى مامنه تركب بالافتراق وقد ثبت امتناع الافتراق فيه ولانه بسيط فهو كرى الشكل ولا يمكن أن يتشكل بالقسر بغير شكله والا فهو قابل للدفع وأجزاءه لاختلاف الوضع فهو قابل للافتراق وقد قيل ليس كذلك فاذاً شكله واحد *

﴿ المقالة الرابعة ﴾

﴿ فى الاشارة الى الأجسام الاولى واشباع القول فى قواها ﴾

قد ثبت أن فى حيزنا هذا أجساما منها تتركب المركبات ولا محالة ان جسم النار من جملتها وذلك لانه لا يوجد أبسط منه في

الحرارة وهو جسم غاية فى الحرارة ونظن أنه يابس ويأخذ المكان الى فوق * فلا يخلو اما أن يكون ذلك لانه حار فيكون مكان الحار فوق مكان البارد أو يكون لانه يابس فيكون مكان اليابس فوق مكان الرطب وهذا القسم يظهر استحالته بالماء والارض * فاذا القسم الاول صحيح فاذاً ينبغى أن يليه من تحته الجسم الحار الرطب ثم شاهدنا الماء بارداً بالطبع رطباً ولا يوجد جسم أبسط منه فى البرودة والارض دونه في الحيز فالارض اذاً باردة اذالبارد لايعلو بالطبع الحار كما تبين والأرض يابسة بلا شك فاذاً الذى يعلو الماء وهو الهواء حار رطب حتى يكون بينه وبين الماء مناسبة ما فى طبيعته فيكون بينهما مجاورة في المكان * وكيف لا يكون الهواء رطباً وهو من أقبل الاجسام لحد الرطب فتبقى النار يابسة بالحقيقة كما هى فى الظن لكن النار حرها أشد من يبسها والارض يبسها أشد من بردها والماء برده أشد من رطوبته بل لو ترك وطبعه لكان لقائل أن يقول انه يجمد وييبس ان لم يسيله جسم حار لا أنه ايبس جموده كجمود الأرض لان قبوله للتحلل شديد جداً فهو أرطب من الارض * والهواء رطوبته أشد من حرارته رنما هى الاسطقسات عند النار * ومعلوم انه لا توجد أجسام أبسط

فى هذه الطبائع وأكثر فى هذه الكيفيات من هذه فهى العناصر وان كانت في الوجود أيضاً قد خالطها غيرها الا أنالا نشك أن لها فى جوهرها شيأ هو الغالب فى الخلط واياه نعنى بالاسطقس ومعلوم ان المركب جوهره مركب من جرم لطيف وجرم كثيف به يثبت وان الكثيف منه يابس منعقد ومنه سيال * واليابس الكثيف هو من جوهر الأرض والسيال هو من جوهر الماء * وأما اللطيف فمن البين انه ان كان بحيث يشتد حره حتى لو انفرد لاحرق كان ناراً وان كان بحيث يلين حره حينئذ كان هواء * وان اللطيف المشتد حره موجود فى العالم مثل الهواء العالى الذى أىّ بخار وصل اليه أحرقه وحدثت الشهب وكيف لا يكون فى غاية السخونة والحركة قد تحيل الهواء محرقا فى الآلات النفخية فكيف الحركة الدائمة الفلكية *

* فصل فى احياز الاجسام الكائنة والمبدعة *

وتنتهى المواضع الطبيعية للأجسام القابلة للكون والفساد ببسائطها ومركباتها اذ مكان المركب فى حيز البسائط كما قد تقدم وانتهاؤها يكون عند النار لانتهاء الكون عند النار ولا يمكن أن يوجد خارجاً عنها جسم من طباعه ذلك لا جرم ولا بقسر ولا

جسم مركب البتة فيتبين أن من حيز فلك القمر يبتدئ الحيز
الكلى المشتمل على الاجسام الابداعية وتوجد متحركة على الدور
فاذاً من الارض الى فلك القمر حيز الاجسام القابلة للكون والفساد
ومن فلك القمر الى آخر العالم حيز الابداعيات الدائمة الحركة ولا
حيز خارج الحيزين * وبيّن من الأصول التي سلفت أن الفلك
خارج عن الطبائع الاربع * وانه ليس بخفيف ولا ثقيل بوجه من
الوجوه وانه حي ذو نفس وليس لقائل أن يقول ان من الممكن
أن يكون جسم قابل للكون والفساد وليس بأسطقس * فان
الجسم القابل للكون والفساد خالع لصورته لعلة لا محالة مغيرة
ملابس لصورة أخرى لامتناع خلو الهيولى عن الصورة كما قيل
فى المبادى * وهذه الصورة الاخرى ليس من شأنها أن تلائم
الاولى والا لما كان اختصاصها بالمادة عقيب ارتفاعها ولا محالة أن
هذا الجسم اذا اختلط مع آخر فيه القوى التي هى ضد قوته فتفاعلت
انه يحصل منهما جسم مركب ويكون هو أسطقس المركب وليس
لقائل أيضاً أن يقول ان الارض والماء والهواء والنار ان وجدت
على هذه الطبائع التي أشرنا اليها بالصحة فانها غير بسيطة وكيف
وكل واحد مما يتحرك الى أحد الاحياز انما يتحرك بغلبة واحدة

منها وكل واحد من المركبات اذا خلص عن حيز واحدة منها رجع اليه وهذا يبين بأدنى تأمل *

﴿ فصل فى فسخ ظنون قيلت فى هذا الموضع ﴾

وربما ظن ان هذه الاجسام لا يستحيل فى كيفياتها بل الماء انما يسخن لان الحرارة النارية تخالطه من خارج أو لانها تكون كامنة فيه فتظهر * أما الوجه الاول فيظهر بطلانه ان هذه الاشياء تسخن بالمحاكة والحركة ولا يكون هناك نار وردت من خارج تخالطته والانسان يغضب فتسخن جميع أعضائه من غير نار وردت عليه تخالطته * واذا حك جسم جسما فليس يمكن أن يقال ان ناراً انفصلت من الحاك ودخلت فى المحكوك ولا بالعكس لانه ليس ولا واحد منها يبرد بانفصالها فيسخن الآخر بنفوذها فيه لكنهما يسخنان ظاهراً وباطناً * وأما الكمون فليس له معنى البتة لان الجسم يوجد بارداً فى جميع أجزائه الباطنة والظاهرة ثم يسخن فى جميعها ولو كانت النار كامنة فى جزء منه * ثم ظهرت فى جزء آخر لكان الحر موجوداً فى ذلك الجزء ثم انتقل عنه وحل فى ذلك الجزء مثل البرد الذى كان موجوداً فى الجزء المنتقل اليه وليس كذلك وكذلك الصلب يلين واللين يصلب والعلة فيه هذه العلة

أعنى الاستحالة لا الكمون ولا المخالطة لوارد من خارج وربما ظن أن هذه الاجسام وان كانت أسطقسات فانها ليس من شأنها أن يستحيل بعضها الى بعض والحق خلاف هـذا * وقد يمكن أن يتبين ذلك بوجوه شتى الا أن اعتبار المشاهدات أولى بمثل هذا الموضع وذلك انا رأينا الماء العذب انعقد حجراً جامـداً فى زمان غير محسوس وذلك الحجر جوهر أرضي لامحالة انما يقصر به عن تمام الارضية اجتماع ماء فيه وأدنى رطوبة ويمكن أن تزال فيعود كلساً وان تترك الـكلس حتى يعود رماداً * وقد يمكن بالحيل أن يحلل الجسم الصلب ماء * وأن يدام عليه الحيلة حتي يصير ماء زلالاً وان كانت فيـه كيفية ما باقيـة فلا يبعد على الايام أن تبطل تلك الكيفة وقد رأينا من حلل أجساماً صلبة بمياه حادة * وبحيل أخرى واذا كان الامر على هذا فالمادة بين الماء والجوهر الارضى مشتركة وليس ولا حدى الصورتين لها ملازمة * بل يصح انتقالها من صورة الى صورة أخرى * ثم الهواء قد شاهدناه وهو هواء صحو يغلظ دفعة فيستحيل أكثره أو كله ماء وبرداً أو ثلجاً ويسقط على ماتحته * ويصحى كرة أخرى فى غاية ما يكون الهواء الصحو ، ثم لا يلبث ساعة أن يغلظ دفعة أخرى ويستحيل لذلك فيحدث الغيم

لاعن بخار البتة يصعد أو يرد من موضع بل عن ضباب ينزل ويتصل بوجه الأرض وهذا فى قلل الجبال الباردة * ورأينا ذلك يثبت على الدور حتي يجتمع فى قليل مدة من الثلج والبرد أمر عظيم كله هواء قد استحال ماء والعين تشاهده وتراه لانه يكون بحيث البصر يحيط بجملته اذ المكان الفاعل لذلك التبريد فى الهواء قليل العرضة وأنت قد تضع الجمد فى كوز صفر فتجد فى خارجه من الماء المجتمع على سطحه كالقطر شئ له قدر صالح ولا يمكن أن ينسب ذلك الى الرشح لانه ربما كان ذلك حيث لايماسه الجمد وكان فوق مكانه * ثم لاتجد مثله اذا كان الماء حاراً والكوز مملوءا * ثم قد يجتمع مثل ذلك داخل الكوز حيث لايماسه الجمد وليس ذلك رشح البتة وقد يدفن القدح فى جمد محفوراً حفراً مهندماً عليه ويشد رأسه فيجتمع فيه ماء كثير وان وضع في الماء الحار الذى يغلى مدة وشد رأسه لم يجتمع فيه شئ * واذا بطل أن يكون على سبيل الرشح فلا يخلو اما أن يكون على سبيل ان مايجاور القدح أو الكوز وهو الهواء قد استحال ماء أو ان المياه المنبثة في الهواء انجذبت الى مشا كلها في البرودة. وهذا القسم الثانى محال * وذلك انه ليس فى طبيعة الماء أن يتحرك الا على سبيل الاستقامة الى

السفل * ولو كان يجوز أن يتحرك كيف اتفق لكانت القطرات
اذا خلي عنها عند مستنقع ماء عظيم كثير بارد أو عند مجمع جمد
كثير أن تميل اليه عن جهتها المستقلة * فاذا ليس على سبيل الرشح
ولا على سبيل الانجذاب * فيبقى أن يكون على سبيل استحالة
الهواء ماء فتكون اذًا المادة مشتركة فيستحيل الماء أيضاً عند
التبخير هواء ثم الهواء قد يستحيل عند التحريك الشديد محرقا
وقد يعمل لذلك آلات حاقنة مع تحريك شديد على صورة المنافخ
فيكون ذلك الهواء بحيث يشتعل فى الخشب وغيره وليس النار
الا هواء بهذه الصفة فلا يخلو هذا أيضاً اما أن يكون قد استحال
نارا أو تكون النار قد انجذبت الى حيث هناك حركة وهذا يبطل
بمثل ما بطل به انجذاب الماء ثم نحن نشاهد الخشب تمسه نار صغيرة
فيشتعل به ثم ينفصل عنه على الاتصال نار بعد نار فانه ليس شيء
من نيران الاشتعال يثبت زماناً البتة بل ينفصل وينطفئ ويتبعه
آخر وبعد ذلك فان الباقي يبقى جمرة تسرى النارية فى ظاهرها
وباطنها ومن المستحيل أن يكون في ذلك الخشب من النار الكامنة
ماله ذلك القدر بل النار الباقية التى فى الجمرة وحدها لو كانت كامنة
فى خشبتها لكانت كثيرة فان من المعلوم أنها بعد الانتشار أضعافها

عنـد الاجتماع والكمون وكان يجب لا آلة أن يكون في تكمينها أكثر تسخيناً وأشد إحراقاً وكان قد يوجد فى الخشبة لامحالة أقل جزء مثل الجمرة * واذ ليس للكمون وجه ولا أيضاً لظن من لعله يظن ان ناراً كثيرة وردت من خارج * فبقى أن يكون على سبيل الاستحالة * فيظهر اذاً ان من شأن هـذه العناصر أن يكون بعضها من بعض ويفسد بعضها الى بعض فانها مادامت تتغير فى الكيفيات نفسها فهى مستحيلة * واذا تغيرت فى صورتها فسد مابطلت صورته وكان ماحدثت صورته * وانها اذا كانت انما تختص بهذه الصورة باستعداد عرض لها مخصص فقبلت من خارج تلك الصورة على ماوصفنا فى المبادى فاذا عرض لها الاستحالة فى الكيف واشتد ذلك حدث الاستعداد للصورة التى يناسبها ذلك الكيف وزال الاستعداد الاول فحدثت الصورة الاخرى وبطلت الاولى وانما حـدثت الصورة الاخرى لتخصيص الاستعداد بها عنـد الاشتداد في الكيفية التى تناسبها لـكن الصورة الأخرى تقع اليها الاستحالة دفعـة والكيفية تقع اليها الاستحالة فى زمان فانه ليس يمكن أن يتبع اشتداد الكيفيات تغير الصورة التى هى غيرها الا أن تكون تلك الكيفية تجعل المادة أولى بتلك الصورة لمناسبتها

لها * وذلك بأن تزيد فى استعدادها فتبطل الاولى وتحدث الصورة الاخرى اما بأن يفسد الاستعداد الأول ثم يتبع الاستعداد الاستكمال من عند الجواد الفائض على الكل الذى يلبس كل استعداد كامل يحصل فى طبيعة الاجسام كماله *

(فصل) ومن فساد الظنون ظن من رأى أن النار تتحرك الى فوق بالقسر والارض تتحرك الى أسفل بالقسر وكيف والاعظم يتحرك أسرع خصوصاً ظن من يظن من هؤلاء أن هذا القسر ضغط وأن النار يعلو الهوا * والهوا يعلو الماء والماء يعلو الارض بسبب ضغط الكثيف للطيف من فوق وكيف والاندفاع من الضغط يكون خلاف جهة الضاغط لا نحوه ويكون انضغاط الاعظم ابطأ فبيّن من هذا غلط من ظن أن الاجسام كلها تهوى الى أسفل ولكن الا كثف يضغط الألطف *

(فصل في التخلخل والتكاثف)

وينبغى أن تعلم أن هذه الاجسام تقبل التكاثف والتخلخل بأن يصير جسم أصغر مما كان من غير فصل جزء عنه أو أكبر مما كان من غير وصل جزء به وذلك بيّن من القارورة تمص فتكب على الماء فيدخلها الماء * فاما ان يكون وقع الخلاء وهو محال وإما أن يكون الجسم الكائن فيها

قد خلخله القسر الحامل اياه على تخلية المكان ثم كثفه برد الماء أو تكاثف بطبعه فرجع الى حجمه الطبيعي عند زوال السبب المخلخل اياه خارجاً عن طبعه وهذه الازقاق والاواني التي تتصدع عند غليان مافيها أو تسخينه إما من طبعه وإما من نار توقد عليه لايخلو اما أن يكون ذلك الانصداع لاجل حركة تعرض لما فيها مكانية قوية من تلقائه * أو لحركة تعرض لها من محرك دافع أو لحركة لها من باب الكم بتخلخل وانبساط لايسع مثله سطح الوعاء والقسم الاول محال لان تلك الحركة اما أن تكون فيها الى جهة واحدة أو الى الجهات كلها * فان كانت الى جهة واحدة فان نقل الاناء وحمله ربما كان أسهل من صدعه فيجب أن تنقل الاناء وتحمله فى أكثر الامر لاأن تصدعه وان كانت الى جهات مختلفة فيجب من ذلك أن تكون طبيعة متشابهة يعرض فيها أن تتحرك حركات بالطبع مختلفة وهذا محال وان كان انما يتحرك مثلا لدافع مثل مايظن أن النار تدخل الماء المغلى فيصير أكبر حجما فينصدع الاناء فلا يخلو إما أن يدخل ثقبا خالية وإما أن لا يدخل ثقباً خالية بل يحدث ثقباً ومنافذ فيه .. ومحال أن يدخل ثقباً خالية * فان الخلا ممتنع وأيضاً اذا امتلأت الثقب الخالية لم يجب أن يزداد حجم

الجسم كله بل وجب أن يكون على ماهو عليه * وأما القسم الثانى فلا يخلو اما أن يزيد فى الحجم مع مماسة سطح الجسم الذى فيه قبل النفوذ فى ثقب مستحدثة فيه أو بعد أن يثقب ويدخل وكلا القسمين باطل أما مع المماسة فان نفس المماسة لاتوجب زيادة حجم الشئ * نعم ربما كان المماس يدفع ويضغط بقوته الى جهة واحدة مخالفة لجهة حركته ومضطرة اليها * ولايجب من ذلك أن ينصدع مايحتوى على المدفوع بل ينتقل على مابينا على انه كثيراً مايعرض ذلك لابسبب نار واصلة من خارج بل لان المحوى يسخن من تلقاء نفسه * ومحال أن يقال ان الانصداع واقع بزيادة الحجم بسبب المخالطة من النافذ الثاقب * فنقول ان هذا القسم أيضاً محال لانه لايخلو اما أن تكون الزيادة فى الحجم آن الانصداع أو يكون الحجم قد زاد قبله وكلا القسمين محال * أما الاول فلأن كل آن يكون فيه نافذاً يمكن أن يفرض قبله آن آخر كان فيه نافذا لان النفوذ مجاوزة السطوح بالحركة ويكون له مسافة ما وتلك المسافة منقسمة وفى بعضها قدكان نافذاً أيضاً فقد كان الحجم زائداً قبل ان صدع * وهذا محال لوجهين أحدهما لان الاناء الذى ملأ د نى ء لايسع فيه مالىء أكثر منه حتى يثقبه الى أن يشقه

والثانى لان الحجم اذا صار أكبر كان يشق لأنه أكبر فيجب أن يكون قد شق قبل ان شق اللهم الا أن يقال انه دخل شيء وخرج شيء مثله فيكون الحجم لم يزدد الى وقت الشق * ثم ترجع المسئلة من رأس فى القدر الذى اذا دخل فيه شيء لم يخرج مثله فقد بطل أن تكون الحركة الصادعة من جهة حركة انتقالية تعرض لما فى الاناء من تلقائه وبطل أن يكون لدفع يعرض من دافع * وليس يجوز أن تكون الى جهة واحدة فينقل الاناء قبل أن يشقه فقد بقى انه انما يعرض لانبساطه وانه ينبسط فيشق بالدفع القوى و لتمديد فيكون قد ازداد حجم جسم لا بمداخلة جسم آخر * إما وهو باق بعد على صورته في كليته * واما أن بعض أجزائه استحال الى صورة أخرى تقتضى كما أكبر * واما أن جميعه استحال الى صورة تقتضى مقدارا أكبر *

﴿ فصل في أن السماويات تفيض كيفيات غير ما للبسائط العنصرية ﴾

وينبغى أن تعلم أن ههنا برودة وحرارة تفيض من القوى الفلكية خارجة عن العنصريات * والا فكيف يبرد الافيون أقوى مما يبرد الماء والارض والجزء البارد فيه مغلوب بالتركيب مع الاضداد وكيف يفعل ضوء الشمس في العيون العشا يفعل النبات بادنى تسخين

مالا تفعله النار بتسخين يكون فوقه أو مساويا له بل ههنا قوى تفيض من تلك الاجسام فى هذه الاجسام اذا تركبت فربما كانت مجانسة * وان لم تكن هذه القوى موجودة فى تلك الاجرام أو أشياء أخرى غيرها تجرى فى افاضة ذلك مجراها *

﴿ فصل فى بيان آثار للحرارة والبرودة فى الاجسام ﴾

وينبغى أن تعلم أن الحرارة من قوى البسائط اذا صادفت مادة مختلطة من رطب ويابس حللت الرطب الذي فيه فازداد قبولا لحد الرطب حتى اذا أبانته عنه لتبخير اجتمع له اليابس وصلب فيحصل عنها في أول الأمر لين * فاذا لان ولاقى البارد ذلك الجسم كثفه فصار تكثيفه أشد مما كان أولا اذ اليابس فيه الآن أكثر مما كان * ثم اذا فنيت الرطوبة بأسرها بقى يابسا لا اجتماع له لان الاجتماع انما كان بالنداوة وقد تبخرت وربما سخنت الحرارة من الشئ ظاهره فتبرد باطنه بالتعاقب الجارى بين الطبائع المتضادة وليس معنى هذا التعاقب ان الحرارة والبرودة تنتقل وتتحرك من جزء الى جزء ولا انها تشعر بضدها فتنهزم عنه * بل اذا استولى ضد على ظاهر الشئ غصبت القوة المسخنة التى فيه أو المبردة بعض المادة المطيفة به المنفعلة عنه فبقى المنفعل أقل مما كان واذا قل

للمنفعل اشتد فيه الفعل وقوى وظهر * ثم اذا سلمت المادة له كلها انتشر التأثير فى الكل فضعف فاذا اتفق ان كان فى شئ واحد قوة مسخنة ومبردة فأيهما غلب على الظاهر قوى فعل ضده فى الباطن الا أن يغلب فيغصب جميع المادة ظاهرها وباطنها * وقد يفعل الحقن ضد فعل التبخير مثلا ان الحرارة اذا بخرت الجوهر المسخن فى الباطن ضعفت الحرارة الباطنة وان البرودة اذا حقنت الجوهر المسخن في الباطن قويت الحرارة الباطنة ولذلك توجد الاجواف فى الصيف أبرد * والبرودة ربما خلخلت الشئ بالعرض فتقوى الحرارة فى باطن الجسم بالاحتقان ثم تستولى البرودة على المادة * والبرودة تفعل فى جميع ما قلناه ضد فعل الحرارة فيصلب المركب من يابس ورطب أولا فيمكن حينئذ أن يعرض ما قلنا من تقوّى الحرارة باطناً * ويمكن أن لا يعرض فلا يزول التصليب البتة بل لا يزال يشتد * وهذه الكيفيات اذا اجتمعت فى المركب فعل بعضها فى بعض فحصل من المركب مزاج مخالف لكيفيات البسائط فتكون البسائط فيه لا على ماهى على حد البساطة المفردة عن التركيب بل تكون صورها الذاتية محفوظة غير فاسدة لان فسادها الى أضدادها دفعة وأضدادها أيضاً بسيطة وعناصر

لامركبات * وكيف لا تكون فيه ثابتة والشئ المركب انما هو مركب عن أجزاء فيه مختلفة والا كان بسيطاً ولا يقبل الأشد والأضعف* وأما كيفياتها ولواحقها فتكون قد توسطت ونقصت عما كانت فيه من حد الصرافة والسورة للبساطة *

المقالة الخامسة فى المركبات

ان العناصر الاربعة عساها أن لا توجد كلياتها صرفة خالصة بل يكون فيها لا محالة اختلاط * ويشبه أن يكون النار أبسطها في موضعها ثم الارض* أماالنار فان ما يخالطها فى حيزها يستحيل اليها لقوتها على الاحاطة وأما الارض فان نفوذ قوى ما يحيط بها فى كليتها بأسرها كالقليل بل عسى أن يكون باطنها القريب من المركز يقرب من البساطة ولكن ذلك دون بساطة النار لان نفوذ القوى الفلكية المسخنة فى الارض جائز * وذلك مما يحدث فيها احالة ما ومع ذلك فان الأرض لا تقوى على احالة كل ما يخالطها من الجوهر القريب الى الأرضية قوة النار على احالة مايخالطها ثم يشبه أن تكون العناصر طبقات (الطبقة السفلى) هى الأرض القريبة الى البساطة (والطبقة الثانيـة) الطين (والطبقة الثالثة)

بعضها ماء وبعضها طين جففته الشمس وهو البر * ثم يحيط بالبر والبحر الهواء البخارى الا أنه ذو طبقتين احداهما تصاقب كرة الأرض فتسخن من شعاع الشمس المسخن للأرض المسخنة لما يجاورها * وبعضه يبعد عنه فيستولى عليه الطبيعة التي فى جوهر المائية وهو البرد ولهذا يكون أعالى الجبال ومواضع انعقاد السحاب أبرد * ثم فوق هاتين الطبقتين طبقة الهواء الذي هو أقرب الى البساطة * ثم فوقه طبقة الهواء الدخانى وذلك ان الدخان أيبس وأسرع حركة وأشبه كيفية بالنار فهو يعلو البخار * والهواء ان لم يبرد فى الوسط فينزل ريحا فان لم يبرد علا وطفا فوق الهواء الا أنه كما أظن انه لا يكون محيطا ولا كثيراً بل يسيراً منتشراً والا كثر يحترق شهبا كما سنذكره بعد ثم فوق هذا كله الطبقة النارية وجميع العناصر الاربعة بطبقاتها طوع الاجرام العالية الفلكية والكائنات الفاسدات تتولد من تأثير تلك وطاعة هذه والفلك وان لم يكن حارًّا ولا بارداً فانه قد ينبعث منه فى الاجسام السفلية حرارة وبرودة بقوى تفيض منها عليها ويشاهد هذا من احراق شعاعها المنعكس عن المرايا فانه لو كان سبب الاحراق حرارة الشمس دون شعاعها لكان كلما هو أقرب الى العلو أسخن * وقد يكون

مطرح الشعاع الى الشئ فيحترق وما فوقه لايحترق * بل يكون فى غاية البرد * فاذاً سبب الاسخان التفاف الشعاع الشمسى المسخن لما يلتف به فيسخن الهواء وربما بلغ من اسخانه أن يعد الهواء لقبول طبيعة النار ويخرجه عن الاستعداد للصورة الهوائية فاذا وقعت القوى الفلكية فى العناصر فحركتها وخلطتها حصل من اختلاطها موجودات شتى فمنها ان الفلك اذا هيج باسخانه الحرارة بخر من الأجسام المائية ودخن من الأجسام الأرضية * وأثار شيأ بين الغبار والدخان من الاجسام المائية والارضية ولان الارض والماء يوجدان فى أكثر الاحوال متمازجين فليس يوجد بخار بسيط ولادخان بسيط الاندرة وشذوذاً وانما يسمى التأثير باسم الاغلب والبخار أقل مسافة فى صعوده من الدخان لان الماء اذا سخن كان حاراً رطباً والاجزاء الارضية اذا سخنت ولطفت كانت حارة يابسة والحار الرطب أقرب الى طبيعة الهواء * والحار اليابس أقرب الى طبيعة النار واليبس كأنه يوجب زيادة فى الحركة الى جهة فوق * واذا كان البخار حاراً رطباً لم يمكن أن يتجاوز حيز الحار الرطب بل يقصر عنه * فاذاً لايتعدى صعوده حيز الهواء بل اذا وافى منقطع تأثير الشعاع برد وكثف * وأما الدخان فانه يتعدى

حيز الهواء حتى يوافي تخوم النار هذا اذا تأتى أن يتخلصا من جرمي الارض والماء * وأما اذا احتبسا فيهما حدثت أمور وكائنات أخرى غير التي تحدث عن المتخلصين منهما فالدخان اذا وافى حيز النار اشتعل واذا اشتعل فربما سرى فيه الاشتعال فيرى ان كوكبا يقذف به وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه الاحتراق فرئيت العلامات الهائلة الحمر والسود * وربما اشتعل وكان غليظاً ممتدا فيثبت فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار الدائرة بدوران الفلك وكان ذنباً له وربما كان عريضاً فرأى كانه لحية للكوكب وربما حميت الأدخنة في برد الهواء للتعاقب المذكور فانضغطت مشتعلة * وأما البخار الصاعد فمنه ما يلطف جداً ويرتفع جداً فيترا كم ويكثر مدده فى أقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطراً ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعاً وينزل كما لو يوافيه برد الليل سريعاً قبل أن يترا كم سحاباً وهذا هو الطل * وربما جمد البخار المترا كم فى الأعالى أعنى السحاب فنزل وكان ثلجاً وربما جمد البخار الغير المترا كم فى الأعالى أعنى مادة الطل فنزل وكان صقيعاً وربما جمد البخار بعدما استحال قطرات فكان برداً وانما يكون جموده فى الشتاء وقد

فارق السحاب وفى الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن
خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف فى داخله واستحال
ماء وأجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء بنفسه لشدة البرد
فاستحال سحاباً واستحال مطراً * ثم ربما وقع على صقيل الظاهر من
السحاب وأجزائها صور النيرات وأضواؤها كما يقع في المرايا
والجدران الصقيلة فيرى ذلك على أحوال مختلفة بحسب اختلاف
بعدها من النير وقربها وبعدها من الرائى وقربها وصفائها وكدورتها
واستوائها ورتبتها وكثرتها وقلتها فيرى هالة وقوس وشموس وشهب
والهالة تحدث عن انعكاس البصر عن الرش المطيف بالنير الى النير
حيث يكون الغمام المتوسط لا يخفى النير * ولان الزوايا تكون
متساوية يكون الاجزاء المنعكس عنها الضوء متساوية البعد عن النير
فرؤى دائرة كأنها منطقة محورها الخط الواصل بين الناظر وبين
النير ولانها تؤدى الضوء الى البصر ترى نيرة ولان ماسواها
لايفعل ذلك يرى غير نير فتميز دائرة مضيئة نيرة وخصوصاً
وما فى داخلها ينفذ عنه البصر الى النير ونوره الغالب على أجزاء
الرش يجعله كانه غير موجود وكأن الغيم هناك هواء شفاف ولان
الناظر فى طرفه والغمام بينهما وزوايا العكس منطبقة بالنير فلذلك

ترى دائرة * وأما القوس فان الغمام يكون في خلاف جهة النير فتنعكس الزوايا عن الرش الى النير لا بين الناظر والنير بل الناظر أقرب الى النير منه الى المرآة فتقع الدائرة التي هى كالمنطقة أبعد من الناظر الى النير فان كانت الشمس على الأفق كان الخط المار بالناظر والنير على بسيط الأفق وهو المحور فيجب أن يكون سطح الأفق يقسم المنطقة بنصفين فيرى القوس نصف دائرة * فان ارتفعت الشمس انخفض الخط المذكور فصار الظاهر من المنطقة الموهومة أقل من نصف دائرة وأما تحصيل الألوان على الجهة الشافية فانه لم يستبن بعد.والسحب ربما تفرقت وذابت فصارت ضباباً وربما اندفعت بعد التلطف الى أسفل فصارت رياحا وربما هاجت الرياح لاندفاع بعضها من جانب الى جهة * وربما هاجت لانبساط الهواء بالتخلخل عند جهة واندفاعه الى أخرى * وأكثر مايهيج لبرد الدخان المتصعد المجتمع الكثير ونزوله فلذلك كان مبادى الرياح فوقانية وربما عطفها مقاومة الحركة الدورية التي تتبع الهواء العالى فانعطفت رياحاً والسموم ما كان من هذا محترقا وربما كان من جهة مادة الشهب اذا احترقت ونزل رمادها وربما كان لمرورها بالأرضى الحارة * وربما احتبست الأبخرة فى

داخل الأرض فتميل الى جهة فتبرد بها فتستحيل ماء فيستمد مدداً متدافعاً فلا تسعه الارض فتنشق فيصعد عيونا وربما لم تدعها السخونة تكثف فتصير ماء وكثرت عن أن تتحلل وغلظت عن أن تنفذ فى مجارى مستحصفة وكانت مجاريها أشد استحصافا من مجاوى أخرى فاجتمعت ولم يمكنها ان تثور خارجة فزلزلت الارض وأولى بأن يزلزل الدخان الريحى وربما اشتدت الزلزلة فخسفت الأرض وربما حدث فى حركتها دوى كما يكون من تموج الهواء فى الدنان * وربما حدثت الزلزلة من تساقط عوالى وهذه فى باطن الأرض فيموج بها الهواء المحتقن فيزلزل الارض وربما تبع الزلزلة نبوع عيون * وهذه الابخرة اذا نبعت عيوناً أمدت البحار بصب الانهار اليها ثم ارتفع من البطائح والبحار والانهار وبطون الجبال خاصة أبخرة أخرى ثم قطرت ثانيا اليها فقامت بدل مايتحلل منها على الدور دائما * وربما احتبست الابخرة في باطن الجبال فانعقدت وجمدت فحدث منها الجواهر المشفة التى لاتنطرق وأكثرها تكون مختلطة بالمائية وربما انعقد كذلك على ظاهر الارض لطبيعة الموضع والادخنة التى تحتبس داخل الأرض ربما اضطرها شدة حركتها وما تتكلفه من شقها الأرض أن تشتعل وتخرج ناراً * وربما

احتبست فى باطن الجبال والكهوف فتولد منها الجواهر الغير القابلة للذوب والادخنة أيضاً تحتقن فى البحار فتملح مياهها لان الاشياء الارضية ذات النهوة أى التى عملت فيها الحرارة وما بلغت في الاحالة تكون مرة فاذا خالطت المائية ملحت وقد يتخذ من الرماد والكلس وغيرهما ملح بأن يطبخ فى الماء ويصفى ويطبخ حتى ينعقد ملحاً أو يترك فيصير ملحاً *وأما الجواهر البخارية الدخانية المركبة من مادتى الرطوبة واليبوسة فمنها مايتخلص من الارض فيكون منها الرياح *واذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار سحاباً فبرد وتقلقل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فيحصل من تقلقله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة فى سحاب كثيف * وربما امتد ذلك التقلقل لكثرة وصول المواد ويكون أعالى السحاب أكثف لان البرد هناك أشد *أو تكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فتندفع الى أسفل * وقد اشعلته المحاكة والحركة ناراً فينشق السحاب شعلة كجمر يطفى فيسمع من ذلك ضرب من الرعد * واذا كان قويًّا شديداً غليظ المادة كان صاعقة * وربما وجد منفذاً فيه سهل الانشقاق فخرج بلارعدولا اشتعال فان كان المدد كثيراً والمادة كثيفة تولدت منه أنواع

الرياح السحابية * وربما وقعت سحابة تحت التي تندفع منها الريح فتمنع الريح من النفوذ وتعكسها الى وراء وتدفعها المواد المندفعة فتنقلب من بين السحابتين مستديرة وربما اشتمل دوره على قطعة من السحاب تحمله فى جهة حركتها فيرى كأن تنينا يجتاز فى الجوّ وربما اشتمل دوره على بخار مشتعل فيرى نارا تدور * والزوابع العظام تكون من هذا وأكثرها نازلة * وقد تكون الزوابع أيضا لالتقاء ريحين متقابلتين قويتين تلتقيان فتستديران * ومن هذه مالا تتخلص بل تحتبس فى الارض فيحدث عنها بحسب اختلاف المواضع والأزمان والمواد جملة من الجواهر القابلة للاذابة والطرق كالذهب والفضة ويكون قبل تصلبه زئبقا ونفطا وما جرى مجراهما وانطراقها بكثرة رطوبتها وعصيانها على الجمود التام وذلك لها لاستحالة بعض رطوبتها دهنا * فهذه حكاية كون ما يتكون بتصعيد القوى الفلكية المسخنة للاجسام القابلة للتحليل *

المقالة السادسة فى النفس

وقد يتكون من هذه العناصر أكوان أيضا بسبب القوى الفلكية اذا امتزجت العناصر امتزاجا أكثر اعتدالا

أي أقرب الى الاعتدال من هذه المذكورة وأولها النبات * فمنه ما يكون مبزرا يفرز جسما حاملا للقوة المولدة * ومنه كائن من تلقاء نفسه من غير بزر ولان النبات يغتذى بذاته فله قوة غاذية ولان النبات ينمى بذاته فله قوة منمية ولان من النبات مايولد المثل ويتولد عن المثل بذاته فله قوة مولدة والقوة المولدة غير الغاذية * فان الفج من الثمار له القوة الغاذية دون المولدة * وكذلك القوة المنمية دون المولدة والغاذية غير المنمية * ألا ترى الهرم من الحيوان فان له الغاذية وليس له المنمية والغاذية تفعل الغذاء وتورده بدل ما يتحلل * والمنمية تزيد في جوهر الاعضاء الاصلية طولا وعرضا وعمقا * لا كيف اتفق بل على جهة تبلغ الى غاية النشو والمولدة تعطى المادة صورة الشيء وتبين منه جزأ وتحله قوة من سنخه اذا وجدت المادة * والموضع المتهيئ لقبول فعله فعل مثله * ومعلوم مما سلف ان جميع الافعال النباتية والحيوانية والانسانية تكون من قوى زائدة على الجسمية بل وعلى طبيعة المزاج ويلى النبات الحيوان * وانما يحدث عن تركيب فى العناصر مزاجه أقرب الى الاعتدال جدا من الاولين يستعد مزاجه لقبول النفس الحيوانية بعد ان يستوفى درجة النفس

النباتية وكلما أمعن فى الاعتدال ازداد قبولا لقوة نفسانية أخرى ألطف من الاولى * والنفس كجنس واحد ينقسم بضرب من القسمة الى ثلاثة أقسام (أحدها) النباتية وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يتولد ويربو ويغتذى * والغذاء جسم من شأنه أن يتشبه بطبيعة الجسم الذى قيل انه غذاؤه ويزيد فيه بمقدار ما يتحلل أو أكثر أو أقل (والثانى) النفس الحيوانية وهى كمال أول لجسم طبيعي آلى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالارادة (والثالث) النفس الانسانية وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يفعل الافعال الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط بالرأى * ومن جهة ما يدرك الامور الكلية * وللنفس النباتية قوى ثلاث * القوة الغاذية وهى القوة التى تحيل جسما آخر الى مشاكلة الجسم الذى هى فيه فتلصقه به بدل ما يتحلل عنه * والقوة المنمية وهى قوة تزيد فى الجسم الذى هى فيه بالجسم المتشبه فى أقطاره طولا وعرضا وعمقا متناسبة للقدر الواجب لتبلغ به كماله فى النشو * والقوة المولدة وهى القوة التى تأخذ من الجسم الذى هى فيه جزأ هو شبيه له بالقوة فتفعل فيه باستمداد أجسام أخرى تتشبه به من التخلق والتمزيج ما يصير شبيها به بالفعل *

﴿ فصل في النفس الحيوانية ﴾

وللنفس الحيوانيــة بالقسمة الاولى قوتان محركة ومدركة * والمحركة على قسمين اما محركة بانها باعثة واما محـركة بانها فاعلة * والمحركة على انها باعثة هي القوة النزوعيــة والشوقية وهي القوة التي إذا ارتسم فى التخيل الذى سنذكره بعدُ صورة مطلوبة أو مهروب عنها حملت القوة التى نذكرها على التحريك ولها شعبتان شـعبة تسمى قوة شهوانية وهي قوة تبعث على تحريك يقرب به من الاشـياء المتخيلة ضرورية أو نافعة طلبا للذة * وشعبة تسمى قوة غضبية وهي قوة تبعث على تحـريك يدفع به الشيء المتخيل ضارا أو مفســدا طلبا للغلبة * وأما القوة المحركة على انها فاعلة فهي قوة تنبعث فى الاعصاب والعضلات من شأنها أن تشنج العضلات فتجذب الاوتار والرباطات الى جهة المبدأ أو ترخيها أو تمددها طولا فتصـير الاوتار والرباطات الى خلاف جهة المبدأ * وأما القوة المدركة فتنقسم قسمين فان منها قوة تدرك من خارج ومنها قوة تدرك من داخـل * والمدركة من خارج هو الحواس الخمسة أو الثمانية (فمنها البصر) وهي قوة مرتبة فى العصبة المجوفة تدرك صورة ماينطبع فى الرطوبة الجليدية من اشـباح الاجسام

ذوات اللون المتأدية فى الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصقيلة (ومنها السمع) وهى قوة مرتبة فى العصب المفترق فى سطح السماخ تدرك صورة ما يتأدى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت يتأدى الى الهواء المحصور الراكد فى تجويف السماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس أمواجه بتلك الحركة تلك العصبة فيسمع (ومنها الشم) وهى قوة مرتبة فى زائدتى مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتى الثدى يدرك ما يؤدى اليه الهواء المستنشق من الرائحة المخالطة لبخار الريح أو المنطبع فيه بالاستحالة من جرم ذى رائحة (ومنها الذوق) وهى قوة مرتبة فى العصب المفروش على جرم اللسان يدرك الطعوم المتحللة من الاجرام المماسة له المخالطة للرطوبة اللعابية التى فيه فتحيله (ومنها اللمس) وهى قوة منبثة فى جلد البدن كله ولحمه فاشية فيه والاعصاب تدرك ما تماسه وتؤثر فيه بالمضادة وتغيره فى المزاج أو الهيئة ويشبه أن تكون هذه القوة لا نوعا واحدا بل جنسا لأربع قوى منبثة معا فى الجلد كله (الواحدة) حاكمة فى التضاد الذى بين الحار البارد (والثانية) حاكمة فى التضاد الذى بين اليابس والرطب

(والثالثة) حاكة في التضاد الذى بين الصلب واللين (والرابعة) حاكة في التضاد بين الخشن والأملس * الا ان اجتماعها معاً في آلة واحدة يوهم تأحدهما فى الذات والمحسوسات كلها تتأدى صورها الى آلات الحس وتنطبع فيها فتدركها القوة الحاسة وهذا في اللمس والذوق والشم والسمع كالظاهر * وأما البصر فقد ظن به خلاف هذا فان قوما ظنوا ان البصر قد يخرج منه شئ فيلاقى المبصر ويأخذ صورته من خارج ويكون ذلك أبصاراً وفى أكثر الأمر يسمون ذلك الخارج شعاعاً * وأما المحققون فيقولون ان البصر اذا كان بينه و بين المبصر شفاف بالفعل وهو جسم لالون له متوسط بينه وبين البصر تأدى شبح ذلك الجسم ذى اللون الواقع عليه الضوء الى الحدقة فادركه البصر . وهذا التأدى شبيه بتأدى الألوان بتوسط الضوء اذا انعكس الضوء من شئ ذى لون فصبغ بلونه جسما آخر وان كان بينهما فرق بل هو شبيه لما يتخيل على المرئى ومما يدل على بطلان الرأى الأول * ان ذلك الخارج اما أن يكون جسما أولا يكون جسما فان لم يكن جسما فالحكم بالحركة والانتقال عليه باطل الا على المجاز بأن يكون فى البصر قوة تحيل مايلاقيه من الهواء وغيره الى كيفية مافيقال ان تلك الكيفية خرجت

من البصر ومحال أن يكون جسما وذلك لانه إما أن يخرج واتصاله ثابت فيلاقي كرة الثوابت فيكون قد خرج من البصر فى صغره جسم مخروط وعظمه هذا العظم ويكون مع ذلك قد ضغط الهواء ودفعه والأفلاك كلها ودفعها أو نفذ فى خلاء وكلا الوجهين ظاهر البطلان أو يكون قد انفصل وتشظى وتفرّق فيجب من ذلك أن يكون الحيوان يحس بشئ منفصل عنه متشظى متفرق وأن يحس بالمواضع التي يقع عليها ذاك الشعاع دون مالا يقع فيحس من الجسم بتفاريق تقطيه ويفوته الغالب منه * وإما أن يكون هذا الجسم يتصل ويتحد بالهواء والفلك حتى تصير الجملة كعضو واحد للحيوان فتكون جملة ذلك حساساً * وهذه الاحالة أيضاً عجيبة * ويجب اذا تزاحمت الأبصار أن تكون هذه الاحالة أقوى فيكون الواحد اذا اجتمع مع الجماعة أشد ابصاراً منه اذا كان وحده فان الكثير أشد احاله من المنفرد بذاته * ثم هذا الجسم الخارج لامحاله إما أن يكون بسيطاً وإما أن يكون مركباً وعلى مزاج خاص وحركته لاتخلو اما أن تكون بالارادة أو تكون بالطبيعة * ونحن نعلم ان ذلك ليس بحركة ارادية اختيارية وان كان فتح الأجفان وغلقها اراديتين فبقى أن يكون طبيعياً

والطبيعى البسيط يكون الى جهة لاالى جهات شتى والمركب يتحرك بحسب الغالب الى جهة واحدة لاالى جهات شتى وليس كذلك حال هذه الحركة عندهم * ثم ان كان المحسوس يرى من جهة القاعدة المماسة من المخروط لامن جهة الزاوية فيجب أن يكون المحسوس البعيد يحس شكله وعظمه كما يحس لونه اذا كان الحاس يلاقيه ويشتمل عليه * وأما اذا أحس من جهة الزاوية أعني الفصل المشترك بين الجليدية وبين المخروط المتوهم كان كلما كان الشيء أبعد كانت أصغر وكان الفصل المشترك أصغر * وكان الشبح المنطبع فيه أصغر فيرى أصغر وربما كانت الزوايا بحيث تفوت الحس فلا يرى * وأما القسم الثانى فهو أن يكون الخارج لاجسما بل عارضاً أو كيفية فيجب أن يكون كلما كان الناس أ كثر أن تكون هذه الاحالة والاستحالة أقوى ويعرض المحال (١) الذى ذكرنا ثم يكون الهواء حينئذ اما مؤديا * وإما حساساً بنفسه فان كان مؤديا غير حساس فالاحساس كما نقوله هو عند الحدقة لامن خارج وان كان الحساس هو الهواء عرض المحال الذى ذكرنا

---

(١) قوله ويعرض المحال الخ وهو قوله فيما سبق فيكون الواحد اذا اجتمع مع الجماعة أشد أبصارا الخ

أيضاً ووجب اذا كان ريح أو اضطراب فى الهواء أن تضطرب الأبصار بتجدد الاستحالة وتجدد الحاس شيأ بعد شئ * كما اذا عدا الانسان فى هواء ساكن فانه حينئذ تضطرب عليه الأبصار للأشياء الدقيقة فاذن ليس الأبصار بخروج شئ منا الى المحسوس فهو اذاً بورود شئ من المحسوس علينا واذ ليس ذلك جسمه فهو اذاً شبحه * ولولا ان الحق هذا الرأى لكان خلقة العين على طبقاتها ورطوباتها وشكل كل واحدة منها وهيئته معطلة *

﴿فصل فى الحواس الباطنة﴾

وأما القوى المدركة من باطن فبعضها قوى تدرك صور المحسوسات وبعضها قوى تدرك معانى المحسوسات . ومن المدركات مايدرك ويفعل معاً ومنها ما يدرك ولا يفعل ومنها مايدرك ادراكا أولياً ومنها ما يدرك ادراكا ثانياً * والفرق بين ادراك الصورة وادراك المعنى ان الصورة هو الشئ الذى تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر معاً لكن الحس الظاهر يدركه أولا ويؤديه الى النفس مثل ادراك الشاة لصورة الذئب أعنى شكله وهيئته ولونه فان نفس الشاة الباطنة تدركها ويدركها أولا حسها الظاهر * وأما المعنى فهو الشئ الذى تدركه النفس من

المحسوس من غير أن يدركه الحس الظاهر أولا مثل ادراك الشاة معنى المضاد فى الذئب وهو المعنى الموجب لخوفها اياه وهربها عنه من غير أن يكون الحس يدرك ذلك البتة فالذى يدرك من الذيب أولا بالحس ثم القوى الباطنة هو الصورة والذى تدركه القوى الباطنه دون الحس فهو المعنى * والفرق بين الادراك مع الفعل والادراك لامع الفعل ان من شأن أفعال بعض القوى الباطنة أن تركب بعض الصورة والمعانى المدركة مع بعض وتفصله عن بعض فيكون لها ادراك وفعل أيضاً فيما أدركت * وأما الادراك لامع الفعل فان يكون الصورة أو المعنى يرتسم فى الشئ فقط من غير أن يفعل فيه تصرفاً البتة * والفرق بين الادراك الاول والادراك الثانى * ان الادراك الاول هو أن يكون حصول الصورة على نحو ما من الحصول قد وقع للشئ من نفسه والادراك الثانى هو أن يكون حصولها له من جهة شئ آخر أداها اليه فمن القوى المدركة الباطنة الحيوانية قوة فنطاسيا[1] أى الحس المشترك وهى قوة مرتبة فى أول التجويف المقدم من الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة فى الحواس الخمس متأدية

(١) قوله فنطاسيا فى أكثر الكتب بالموحدة فى الاول

اليه منها ثم الخيال والمصورة وهى قوة مرتبة أيضاً فى آخر التجويف المقدم من الدماغ يحفظ ماقبله الحس المشترك من الحواس الجزئية الخمس وتبقى فيه بعد غيبة المحسوسات * واعلم ان القوة التى بها القبول غير القوة التى بها الحفظ فاعتبر ذلك فى الماء فان له قوة قبول النقش وليس له قوة حفظه ثم القوة التى تسمى متخيلة بالقياس الى النفس الحيوانية ومفكرة بالقياس الى النفس الانسانية وهى قوة مرتبة فى التجويف الأوسط من الدماغ عند الدودة من شأنها أن تركب بعض مافى الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار ثم القوة الوهمية وهى قوة مرتبة فى نهاية التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعانى الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية كالقوة الحاكمة بان الذيب مهروب منه وان الولد معطوف عليه ثم القوة الحافظة الذاكرة وهى قوة مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ماتدركه القوة الوهمية من المعانى الغير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية ونسبة القوة الحافظة الى القوة الوهمية كنسبه القوة التى تسمّى خيالا الى الحس ونسبة تلك القوة الى المعانى كنسبة هذه القوة الى الصور المحسوسة فهذه هى قوى النفس الحيوانية

ومن الحيوان ما يكون له الحواس الخمس كلها ومنه ماله بعضها دون بعض أما الذوق واللمس فضروري ان يخلق فى كل حيوان ولكن من الحيوان مالا يشم ومنه مالا يسمع ومنه مالا يبصر *

﴿ فصل فى النفس الناطقة ﴾

وأما النفس الناطقة الانسانية فتنقسم قواها أيضا الى قوة عاملة وقوة عالمة وكل واحدة من القوتين تسمى عقلا باشتراك الاسم فالعاملة قوة هى مبدأ محرك لبدن الانسان الى الأفاعيل الجزئية الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصها اصلاحية ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعية واعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة واعتبار بالقياس الى نفسها * وقياسها الى القوة الحيوانية النزوعية أن تحدث فيها هيئات تخص الانسان تتهيأ بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك والبكاء وما أشبه ذلك * وقياسها الى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة هو أن تستعملها فى استنباط التدابير في الامور الكائنة والفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية * وقياسها الى نفسها ان فيما بينها وبين العقل النظرى تتولد الآراء الذائعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح والظلم قبيح وما أشبه ذلك من المقدمات

المبينة الانفصال عن العقلية المحضة فى كتب المنطق وهذه القوة هى التى يجب أن تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ماتوجبه أحكام القوة الاخرى التى نذكرها حتى لا تنفعل عنها البتة بل تنفعل هى عنها وتكون مقموعة دونها لئلا يحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة من الامور الطبيعية وهى التى تسمى أخلاقا رذيلية بل أن تكون غير منفعلة البتة وغير منقادة بل متسلطة فيكون لها أخلاق فضيلية * وقد يجوز أن تنسب الاخلاق الى القوى البدنية أيضا ولكن ان كانت هى الغالبة تكون لها هيئة فعلية ولهذه هيئة انفعالية فيكون شئ واحد يحدث منه خلق فى هذا وخلق فى ذلك * وان كانت هى المغلوبة يكون لها هيئة انفعالية ولهذه هيئة فعلية غير غريبة أو يكون الخلق واحدا وله نسبتان * وانما كانت الاخلاق عند التحقيق لهذه القوة لان النفس الانسانية كما يظهر من بعد جوهر واحد وله نسبة وقياس الى جنبتين جنبة هى تحته وجنبة هى فوقه وله بحسب كل جنبة قوة بها تنتظم العلاقة بينه وبين تلك الجنبة فهذه القوة العاملة هى القوة التى لها بالقياس الى الجنبة التى دونها وهو البدن وسياسته * وأما القوة النظرية فهى القوة التي له بالقياس الى الجنبة التى فوقه

لينفعل ويستفيد منه ويقبل عنه * وكأن للنفس منا وجهين وجه الى البدن ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل البتة أثرا من جنس مقتضى طبيعة البدن * ووجه الى المبادئ العالية ويجب أن يكون هذا الوجه دائم القبول عما هناك والتأثير منه هذا *

﴿ فصل فى القوة النظرية ومراتبها ﴾

وأما القوة النظرية فهى قوة من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة * فان كانت مجردة بذاتها فذاك وان لم تكن فانها تصيرها مجردة بتجريدها اياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شئ وسنوضح هذا بعد * وهذه القوة النظرية لها الى هذه الصور نسب وذلك لان الشئ الذى من شأنه أن يقبل شيأ قد يكون بالقوة قابلا له وقد يكون بالفعل * والقوة تقال على ثلاثة معان بالتقديم والتأخير فيقال قوة للاستعداد المطلق الذى لايكون خرج منه الى الفعل شئ ولا أيضا حصل ما به يخرج * وهذه كقوة الطفل على الكتابة ويقال قوة لهذا الاستعداد اذا كان لم يحصل للشئ الا مايمكنه به أن يتوصل الى اكتساب الفعل بلا واسطة كقوة الصبي الذى ترعرع وعرف القلم والدواة وبسائط الحروف على الكتابة ويقال قوة لهذا الاستعداد اذا تم

بالآلة وحدث مع الآلة أيضاً كمال الاستعداد بأن يكون له أن يفعل متى شاء بلا حاجة الى الاكتساب بل بكيفية أن يقصد فقط كقوة الكاتب المستكمل للصناعة اذا كان لا يكتب والقوة الأولى تسمى قوة مطلقة وهيولانية والقوة الثانية تسمى قوة ممكنة . والقوة الثالثة تسمى ملكة . وربما سميت الثانية ملكة والثالثة كمال قوة . فالقوة النظرية اذاً تارة تكون نسبتها الى الصورة المجردة التي ذكرناها نسبة ما بالقوة المطلقة حتى تكون هذه القوة للنفس التي لم تقبل بعد شيئا من الكمال الذي يحسبها . وحينئذ تسمي عقلا هيولانيا . وهذه القوة التي تسمى عقلا هولانية موجودة لكل شخص من النوع . وانما سميت هيولانية تشبيها بالهيولى الأولى التي ليست هى بذاتها ذات صورة من الصور وهي موضوعة لكل صورة وتارة نسبة ما بالقوة الممكنة . وهى أن تكون القوة الهيولانية قد حصل فيها من الكمالات المعقولات الأولى التي يتوصل منها وبها الى المعقولات الثانية . وأعنى بالمعقولات الأولى المقدمات التي يقع بها التصديق لا باكتساب ولا بأن يشعر المصدق بها انه كان يجوز له أن يخلو عن التصديق بها وقتا البتة مثل اعتقادنا بأن الكل أعظم من الجزء وأن الاشياء

المساوية لشيء واحد متساوية فما دام انما يحصل فيه من العقل هذا القدر بعدفانه يسمى عقلا بالملكة . ويجوزأن يسمى هذا عقلابالفعل بالقياس الى الأولى لأن تلك ليس لها أن تعقل شيأ بالفعل وأما هذه فانها تعقل اذا أخذت تقيس بالفعل . وتارة تكون له نسبة ما بالقوة الكمالية . وهذا أن يكون حصل فيها أيضا الصورة المعقولة الأولية . الا انه ليس يطالعها ويرجع اليها بالفعل بل كأنها عنده مخزونة فتى شاء طالع تلك الصورة بالفعل فعقلها وعقل انه عقلها ويسمى عقلا بالفعل لانه عقل يعقل متى شاء بلا تكلف اكتساب . وان كان يجوز أن تسمى عقلا بالقوة بالقياس الى مابعده . وتارة تكون نسبه ما بالفعل المطلق وهو أن تكون الصورة المعقولة حاضرة فيه وهو يطالعها ويعقلها بالفعل ويعقل انه يعقلها بالفعل فيكون حينئذ عقلا مستفادا الا انه سيتضح لنا أن العقل بالقوة انما يخرج الى الفعل بسبب عقل هو دائما بالفعل . وانه اذا اتصل به العقل بالقوة نوعا من الاتصال انطبع منه بالفعل فيه نوع من الصور تكون مستفادة من خارج . فهذه أيضا مراتب القوى التي تسمى عقولا نظرية وعند العقل المستفاد يتم الجنس الحيواني والنوع الانساني منه وهناك تكون القوة

الانسانية تشبهت بالمبادى الأولية للوجود كله *

﴿ فصل فى طرق اكتساب النفس الناطقة للعلوم ﴾

واعلم أن التعلم سواء حصل من غير المتعلم أو حصل من نفس المتعلم متفاوت . فان من المتعلمين من يكون أقرب الى التصور لان استعداده الذى قبل الاستعداد الذى ذكرناه أقوى فان كان ذلك الانسان مستعدا للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمى هذا الاستعداد القوىّ حدسا وهذا الاستعداد قد يشتد فى بعض الناس حتى لا يحتاج فى أن يتصل بالعقل الفعّال الى كبير شئ والى تخريج وتعليم بل يكون شديد الاستعداد لذلك كأن الاستعداد الثاني حاصل له . بل كأنه يعرف كل شئ من نفسه وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد . ويجب أن تسمى هذه الحال من العقل الهيولانى عقلا قدسيا وهو من جنس العقل بالملكة الا أنه رفيع جدا ليس مما يشترك فيه الناس كلهم ولا يبعد أن تفيض هذه الافعال المنسوبة الى الروح القدسى لقوتها واستعلائها فيضانا على المتخيلة أيضا فتحاكيها المتخيلة أيضاً بأمثلة محسوسة ومسموعة من الكلام على النحو الذى سلفت الاشارة اليه . ومما يحقق هذا ان من المعلوم الظاهر أن الامور المعقولة

التي يتوصل الى اكتسابها انما تكتسب بحصول الحد الاوسط في القياس وهذ الحد الأوسط قد يحصل ضربين من الحصول فتارة يحصل بالحدس والحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الاوسط * والذكاء قوة الحدس وتارة يحصل بالتعليم ومبادى التعليم الحدس فان الأشياء تنتهي لامحالة الى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس ثم أدوها الى المتعلمين * فجائز أن يقع للانسان بنفسه الحدس وأن ينعقد في ذهنه القياس بلا معلم وهذامما يتفاوت بالكم والكيف * أما في الكم فلأن بعض الناس يكون أكثر عدد حدس للحدود الوسطى * وأما في الكيف فلأن بعض الناس أسرع زمان حدس * ولان هذا التفاوت ليس منحصراً في حد بل يقبل الزيادة والنقصان دائما وينتهي في طرف النقصان الى من لاحدس له البتة فيجب أن ينتهي أيضا في طرف الزيادة الى من له حدس في كل المطلوبات أو أكثرها أو الى من له حدس في أسرع وقت وأقصره فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادى العقلية الى أن يشتعل حدساً أعني قبولا لالهام العقل الفعال في كل شئ فترتسم فيه الصور التي في العقل الفعّال من كل شئ إما دفعة واما قريباً من دفعة ارتساماً

لا تقليديا بل بترتيب يشتمل على الحدود الوسطى فان التقليديات في الامور التي انما تعرف بأسبابها ليست بيقينية عقلية وهذا ضرب من النبوة بل أعلى قوى النبوة والاولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية * وهي أعلى مراتب القوى الانسانية *

﴿ فصل في ترتيب القوى من حيث الرئاسة والخدمة ﴾

فاعتبر الآن وانظر الى هذه القوى كيف يرأس بعضها بعضاً وكيف يخدم بعضها بعضا فانك تجد العقل المستفاد بل العقل القدسي رئيساً يخدمه الكل وهو الغاية القصوى ثم العقل بالفعل يخدمه العقل بالملكة * والعقل الهيولانيّ بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة * ثم العقل العملي يخدم جميع هذه لان العلاقة البدنية كما سيتضح لاجل تكميل العقل النظريّ وتزكيته والعقل العملي هو مدبر تلك العلاقة * ثم العقل العملي يخدمه الوهم * والوهم يخدمه قوتان قوة قبله وقوة بعده فالقوة التي بعده هي القوة التي تحفظ ما أداه * والقوة التي قبله هي جميع القوى الحيوانية ثم المتخيلة تخدمها قوتان مختلفتا المأخذ * فالقوة النزوعية تخدمها بالائتمار لانها تبعثها على التحريك * والقوة الخيالية تخدمها بقبول التركيب والتفصيل في صورها ثم ان هذان رئيسان لطائفتين * أما القوة

الخيالية فيخدمها فنطاسيا وفنطاسيا يخدمها الحواس الخمس * وأما القوة النزوعية فيخدمها الشهوة والغضب * والشهوة والغضب تخدمهما القوة المحركة المنبثة فى العضل والى ههنا تنتهى القوى الحيوانية ثم القوى الحيوانية بالجملة تخدمها النباتية وأولها وأرأسها المولدة * ثم النامية تخدم المولدة ثم الغاذية تخدمهما جميعا ثم القوى(١) الطبيعية الاربع تخدم هذه فالهاضمة تخدمها من جهة والماسكة من جهة والجاذبة من جهة والدافعة من جهة وتخدم جميعها الكيفيات الاربع لكن الحرارة تخدمها البرودة ويخدم كليهما اليبوسة والرطوبة * وههنا آخر درجات القوى *

﴿ فصل فى الفرق بين ادراك الحس وادراك التخيل وادراك الوهم وادراك العقل ﴾

ويشبه أن يكون كل ادراك انما هو أخذ صورة المدرك فان كان المادى فهو أخذ صورة مجردة عن المادة تجريداً ما * الا أن أصناف التجريد مختلفة ومراتبها متفاوتة فان الصورة المادية تعرض لها بسبب المادة أحوال وأمور ليست هى لها بذاتها من

(١) قوله ثم القوى الخ يعنى الهاضمة والماسكة والجاذبة والدافعة

جهة ماهى تلك الصورة فتارة يكون النزع نزعا للعلائق كلها أو بعضها وتارة يكون النزع نزعا كاملا بأن يجرد عن المادة وعن اللواحق التي لها من جهة المادة مثاله ان الصورة الانسانية والماهية الانسانية طبيعة لامحالة يشترك فيها أشخاص النوع كلها بالسوية وهى بحدها شىء واحد وقد عرض لها ان وجدت فى هذا الشخص وذلك الشخص فتكثرت وليس لها ذلك من جهة طبيعتها الانسانية ولو كانت طبيعة الانسانية يجب فيها التكثر لما كان يوجد انسان محمولا على واحد بالعدد ولو كانت الانسانية موجودة لزيد لاجل انها انسانيته لما كانت لعمرو فاذاً احدى العوارض التى تعرض للصورة الانسانيــة من جهة المادة هو التكثر والانقسام ويعرض لها أيضاً غير هذه العوارض وهى انها اذا كانت فى مادة مّا حصلت بقدر من الكم والكيف والأين والوضع وجميع هذه أمور غريبة عن طباعها وذلك لانه لو كان لاجل الانسانية كونها على هذا الحد أوحد آخر من الكم والكيف والأين والوضع لكان يجب أن يكون كل انسان مشاركا للآخر فى تلك المعانى ولو كان لأجل الانسانية كونها على حد آخر وجهة أخرى من الكم والكيف والاين والوضع لكان كل واحد من الناس يجب أن يشتركوا فيه

فاذاً الصورة الانسانية بذاتها غير مستوجبة أن يلحقها شئ من هذه اللواحق . فهذه اللواحق عارضة لها من جهة المادة ضرورة لان المادة التى تقارنها تكون قد لحقتها هذه اللواحق فالحس يأخذ الصورة عن المادة مع هذه اللواحق ومع وقوع نسبة بينها وبين المادة واذا زالت تلك النسبة بطل ذلك الأخذ وذلك لانه لاينزع الصورة عن المادة من جميع لواحقها ولا يمكنه ان يستثبت تلك الصورة وان غابت المادة فيكون كأنه لم ينزع الصورة عن المادة نزعاً محكماً بل يحتاج إلى وجود المادة أيضاً فى أن تكون تلك الصورة موجودة له . وأما الخيال فانه يبرئ الصورة المنزوعة عن المادة تبرئة أشد وذلك بأخذها عن المادة بحيث لايحتاج في وجودها فيها الى وجود مادة لان المادة وان غابت أو بطلت فان الصورة تكون ثابتة الوجود فى الخيال الا انها لاتكون مجردة عن اللواحق المادية فالحس لم يجردها عن المادة تجريداً تاماً ولا جردها عن لواحق المادة . وأما الخيال فانه قد جردها عن المادة تجريداً تاماً ولكنه لم يجردها البتة عن لواحق المادة لان الصورة فى الخيال هى على حسب الصور المحسوسة وعلى تقدير مّا وتكييف مّا ووضع مّا . وليس يمكن فى الخيال

البتة ان يتخيل صورة هى بحال يمكن أن يشترك فيه جميع أشخاص ذلك النوع فان الانسان المتخيل يكون كواحد من الناس. ويجوز أن يكون ناس موجودين ومتخيلين ليسوا على نحو مايخيل الخيال ذلك الانسان . وأما الوهم فانه قد تعدى قليلاً عن هذه المرتبة فى التجريد لانه ينال المعانى التى ليست هى في ذواتها بمادية . وان عرض لها ان تكون في مادة وذلك لان الشكل واللون والوضع وما أشبه ذلك أمور لايمكن أن تكون الا لمواد جسمانية * وأما الخير والشر والموافق والمخالف وما أشبه ذلك فهى أمور فى أنفسها غير مادية وقد يعرض لها أن تكون في مادة والدليل على ان هذه الامور غير مادية ان هذه الأمور لو كانت بالذات مادية لما كان يعقل خير أو شر أو موافق أو مخالف الا عارضاً لجسم ولكن قد يعقل ذلك فبين ان هذه الأمور هى فى أنفسها غير مادية * وقد عرض لها ان كانت مادية * والوهم انما ينال ويدرك أمثال هذه الأمور فاذاً هى تدرك أموراً غير مادية وتأخذها عن المادة فهذا النزع أشد استقصاء وأقرب الى البساطة من النزعين الاولين الا انه مع ذلك لايجرد هذه الصورة عن لواحق المادة لانه يأخذها جزئية وبحسب مادة مادة وبالقياس اليها ومتعلقة بصور محسوسة

مكيفة بلواحق للمادة ولانه يأخذها بمشاركة الخيال فيها * وأما القوة التى تكون الصور المستثبتة فيها إما صور موجودات ليست بمادية البتة ولا يعرض لها أن تكون مادية أوصور موجودات ليست بمادية ولكن قديعرض لها أن تكون مادية أوصور موجودات مادية ولكن مبرأة عن علائق المادة من كل وجه فبين أنها تدرك الصور بان تأخذها أخذاً مجرداً عن المادة من كل وجه أما ماهو متجرد بذاته عن المادة فالأمر فيه ظاهر * وأما ماهو موجود للمادة اما لأن وجوده مادى واما عارض له ذلك فتنزعها عن المادة من كل وجه وعن لواحق المادة معها فى أخذها أخذاً مجرداً حتى يكون الانسان الذى يقال على كثيرين فتأخذ الكثيرة طبيعة واحدة وتفرزه عن كل كم وكيف وأين ووضع مادى * ثم تجرده عن ذلك بما يصلح أن يقال على الجميع فبهذا نفترق ادراك الحاكم الحسى وادراك الحاكم الخيالى وادراك الحاكم الوهمىّ وادراك الحاكم العقلىّ والى هذا المعنى أردنا أن نسوق الكلام فى هذا الفصل *

﴿ فصل في أنه لاشئ من المدرك للجزئى بمجرد ولا من المدرك للكلى بمادى ﴾

وكل إدراك جزئي فهو بآلة جسمانية اما المدرك من الصور الجزئية كما تدركه الحواس الظاهرة وهو المدرك على هيئة غير تامة التجريد والتفريق عن المادة ولا مجردة أصلا عن علائق للمادة فالأمر فيه واضح سهل * وذلك لان هذه الصور انما تدرك مادامت المواد حاضرة موجودة والجسم الحاضر الموجود انما يكون حاضراً موجوداً عند جسم وليس يكون حاضراً عند ماليس بجسم فانه لانسبة له الى قوة مجردة من جهة الحضور والغيبة فان الشيء الذى ليس فى مكان لايكون للشيء المكانى اليه نسبة فى الحضور عنده والغيبة عنده بل الحضور لايقع الا على وضع وقرب وبعد للحاضر عند المحضور وهذا لايمكن اذا كان الحاضر جسماً الا أن يكون المحضور جسماً أوفى جسم * وأما المدرك للصور الجزئية على تجريد تام من المادة وعدم تجريد البتة من العلائق كالخيال فهو لا يتخيل الا ان ترتسم الصورة الخيالية فيه في جسم ارتساماً مشتركاً بينه وبين الجسم ولنفرض الصورة المرتسمة فى الخيال صورة زيد على شكله وتخطيطه ووضع أعضائه بعضها عن بعض * فنقول ان تلك الأجزاء والجهات من أعضائه يجب أن ترتسم فى جسم وتختلف جهات تلك الصورة فى جهات

ذلك الجسم وأجزاؤه فى أجزائه ولننقل صورة زيد الى صورة مربع (ا ب ج د) المحدود المقدار والجهة والكيفية واختلاف الزوايا بالعدد وليكن متصلا بزاويتى (ا ب) منه مربعان كل واحد منهما مثل الآخر ولكل واحد جهة معينة لكنهما متشابها الصور ويرتسم من الجملة صورة شكل جزئية واحدة بالعدد فى الخيال * فنقول ان مربع (اه ر و) وقع غيرا بالعدد لمربع (ب ح ط ى) ووقع فى الخيال منه بجانب اليمين ومتميزاً عنه بالوضع فى

الخيال فلا يخلو اما أن تكون لصورة المربعية أو تكون لعارض خاص له فى المربعية غير صورته أو يكون للمادة التى هى تنطبع فيها ولا يجوز أن يكون مغايرته له من جهة الصورة المربعية وذلك انا فرضناهما متشاكلين متشابهين متساويين ولا يجوز أن يكون ذلك لعارض يخصه * اما أولا فلانا لانحتاج فى تخيله يميناً الى اعتيار ايقاع عارض فيه ليس فى ذلك * وأما ثانياً فان ذلك العارض اما أن يكون شيئاً فيه نفسه لذاته أو يكون شيئا له بالقياس الى ماهو

شكله فى الموجودات حتى يكون كأنه شكل منزوع عن موجود هو بهذه الحال أو يكون شيئاً له بالقياس الى القوة القابلة أو يكون شيئاً له بالقياس الى المادة الحاملة * ولا يجوز أن يكون شيئاً له فى نفسه من العوارض التى تخصه لانه اما أن يكون لازماً أو زائلا ولا يجوز أن يكون لازماً له بالذات الا وهو لازم لمشاركه فى النوع فان المربعين وضعا متساويين فى النوع فلا يكون لهذا عارض لازم ليس لذلك * وأيضا فانه لا يجوز ان كان هو في قوة غير متجزئة ان يعرض له شئ دون الآخر الذى هو مثله ومحلهما واحد غير متجز وهو القوة القابلة ولا يجوز أن يكون زائلا لانه يجب اذا زال ذلك الامر أن يتغير صورته في الخيال * والخيال انما يتخيله هكذا لا بسبب شئ يقرنه به بل يتخيله كذلك كيف كان ولهذا لا يجوز أن يقال ان فرض الفارض جعله بهذه الحال كما يجوز ان يقال فى مثله المعقول منه وذلك لانه لا تبقى المسئلة بحالها فيقال كيف أمكن الفارض أن يفرضه بهده الحال فتميز عن الثانى وما الشئ الذى يعمله به حتى يفرض هذا هكذا وذلك كذلك * وأما في الكلى فهناك بأمر يقرنه به العقل وهو حد التيامن مع حد القياس وذلك الحد لأمر معقول كلى يصح * وأما لهذا الجزئى فليس

يوجد له هذا الحد دون صاحبه الا لأمر به يستحق زيادة هذا الحد دون صاحبه ولا الخيال يفرضه هكذا بشرط يقرنه به بل يتخيله كذلك دفعة على انه فى نفسه كذلك لايفرضه فيتخيل هذا يمينا وذاك يساراً الا بسبب شرط يقترن بذلك أو بهذا * وحد التيامن والتياسر يلحق هناك المربع وهو مربع لم يعرض له شئ آخر لحوق الكلى بالكلي *وأما ههنا فالم يقع له أولا وضع محدود جزئى فلا يقع تحت الحد ليس الفرض ههنا يجعله بذلك الوضع فى الخيال بل وقوع ذلك الوضع الخيالي يجعله بحيث يصدق عليه الفرض والخيال ليس عنده حد البتة لان الحد كلى فكيف يلحق هوية الحد فقد بطل أن يكون هذا التميز بسبب عارض لازم أو غير لازم فى ذاته أو مفروض * فنقول ولا يجوز أن يكون ذلك بالقياس الى الشئ الموجود الذى هو خياله وذلك لانه كثيراً ما يتخيل ماليس * ولا يكون نسبة البتة الى ماليس * وأيضا فان وقع لأحد المربعين نسبة الى جسم وللمربع الا خر نسبة أخرى فليس يجوز أن يقع ومحلهما غير منقسم فليس أحد المربعين الخياليين أولى بأن ينسب الى أحد المربعين الموجودين دون الآخر الا ان يكون قد وقع هذا فى نسبة للحامل الى الجسم لايقع الآخر فيها

فيكون اذاً محل ذلك غير محل هذا * وتكون القوة منقسمة ولا تنقسم بذاتها بل بانقسام ما هى فيه فتكون جسمانية * والصورة مرتسمة فى جسم فاذاً ليس يصح أن يفترق المربعان فى الخيال لافتراق المربعين الموجودين وبالقياس اليهما فبقى أن يكون ذلك اما بسبب افتراق الجزء من القوة القابلة أو الجزء من الآلة التى بها تفعل القوة وكيف كان فان الحاصل يبقى أن الادراك بمادة جسمانية أما القوة القابلة فلانها لا تنقسم الا بانقسام مادتها *وأما الآلة الجسمانية فهى التى اياها نعنى فقد اتضح أن الادراك الخيالى هو أيضا بجسم ومما يبين ذلك انا انما نتخيل الصورة الخيالية كصورة الانسان مثلا أكبر وأصغر ولا محالة انها ترتسم وهى أكبر وترتسم وهى أصغر فى شئ لا فى مثل ذلك الشئ بعينه لانها ان ارتسمت فى مثل ذلك الشئ فالتفاوت فى الصغر والكبر اما أن يكون بالقياس الى المأخوذ عنه الصورة * واما بالقياس الى الآخذ * واما بالقياس الى الصورتين وليس يجوز أن يكون بالقياس الى المأخوذ عنه * فكثير من الصور الخيالية غير مأخوذ عن شئ البتة ولا يجوز أن يكون بسبب الصورتين فى أنفسهما فانهما لما اتفقا فى الحد والماهية واختلفا فى الصغر والكبر فليس ذلك لنفسيهما فاذاً ذلك بالقياس الى الشئ

القابل لان الصورة تارة ترتسم في جزء منه أكبر وتارة في جزء منه أصغر وأيضاً فانه ليس يمكننا أن نتخيل السواد والبياض في شبح خيالىّ واحد معاً * ويمكننا ذلك في جزئين منه ولو كان الجزآن لا يتميزان في الوضع بل كان كلا الخيالين يرتسمان في شئ غير منقسم لكان لا يفترق الأمر بين المتعذر منهما وبين الممكن فاذاً الجزآن متميزان في الوضع * ولما علمت هذا في الخيال فقد علمت في الوهم الذى مايدركه انما يدركه متعلقاً بصور جزئية خيالية على ما أوضحنا قبل *

﴿ فصل في تفصيل الكلام على تجرد الجوهر الذى هو محل المعقولات ﴾

ثم نقول ان الجوهر الذى هو محل المعقولات ليس بجسم ولا قائم بجسم على انه قوة فيه أوصورة له بوجه فانه ان كان محل المعقولات جسماً أومقداراً من المقادير فاما أن يكون محل الصور فيه طرفا منه لا ينقسم أويكون انما يحل منه شيئا منقسماً ولنمتحن أولا انه هل يمكن أن يكون طرفا غير منقسم * فأقول ان هذا محال وذلك ان النقطة هى نهاية مالا تميز لها في الوضع عن الخط والمقدار الذي هو منته اليها حتى ينتقش فيها شئ من غير أن

يكون فى شئ من ذلك الخط بل كما ان النقطة لاتنفرد بذاتها وانما هى طرف ذاتى لما هو بالذات مقدار كذلك انما يجوز أن يقال بوجه ما انه يحل فيها شئ اذا كان ذلك الشئ حالاً فى المقدار الذى هى طرفه فيتقدر به بالعرض فكما انه يتقدر به بالعرض كذلك يتناهى بالعرض مع النقطة ولو كانت النقطة منفردة تقبل شيئا من الأشياء لكان يتميز لها ذات فكانت النقطة حينئذ ذات جهتين جهة منها تلى الخط الذى تميزت عنه وجهة منها مخالفة لها مقابلة فتكون حينئذ منفصلة عن الخط وللخط نهاية غيرها يلاقيها فتكون تلك النقطة نهاية الخط لاهذه والكلام فيها وفى هذه النقطة واحد * ويؤدي هذا الى أن تكون النقط متشافعة فى الخط إما متناهية وإما غير متناهية وهذا أمر قد بان لنا فى مواضع أخرى استحالته [1] فقد بان ان النقط لاتتركب بتشافعها وبان أيضاً ان النقطة لايتم لها وضع خاص ونشير الى طرف منها [2] فنقول ان النقطتين حينئذ اللتان يطيفان بنقطة واحدة من جنبيتها اما أن تكون النقطة المتوسطة تحجز بينهما فلا يتماسان * فيلزم

---

(١) أى عند الكلام على بطلان الجوهر الفرد الكلامي (٢) أى من تلك المواضع التى تبين فيها بطلان الجوهر الفرد الكلامي

حينئذ في البديهة العقلية الأولية أن يكون كلّ واحد منهما يختص بشئ من الوسطى تماسه فتنقسم حينئذ الواسطة وهذا محال * وإما أن تكون الوسطى لا تحجز المكتنفتين عن التماس فحينئذ تكون الصورة المعقولة حالة في جميع النقطة وجميع النقط كنقطة واحدة وقد وضعنا هذه النقطة الواحدة منفصلة عن الخط فللخط من جهة ماينفصل عنها طرف غيرها به ينفصل عنها فتلك النقطة تكون مباينة لهذه في الوضع وقد وضعت النقط كلها مشتركة في الوضع هذا خلف فقد بطل أن يكون محل المعقولات من الجسم شيئا غير منقسم فبقى أن يكون محلها من الجسم ان كان محلها جسما شيئاً منقسما[1] فلنفرض صورة معقولة في شئ منقسم فاذا فرضناها في الشئ المنقسم انقساماً عرض للصورة ان تنقسم * فحينئذ لايخلو اما أن يكون الجزآن متشابهين أو غير متشابهين فان كانا متشابهين فكيف يجتمع منهما ماليس إياهما * اللهم الا أن يكون ذلك الشئ شيئا يحصل فيهما من جهة الزيادة في المقدار أو الزيادة في العدد لا من جهة الصورة فيكون حينئذ للصورة المعقولة شكل مّا أو عدد ما وليس صورة معقولة بمشكلة وتصير حينئذ الصورة خيالية لا عقلية وأظهر

---

(١) شيئا خبر يكون من قوله فبقى أن يكون

من ذلك انه ليس يمكن أن يقال ان كل واحـد من الجزأين هو بعينه الكل في المعنى لان الثاني ان كان غير داخل في معنى الكل فيجب أن نضع فى الابتدا معنى الكل لهذا الواحد لا لكليهما وان كان داخلا فى معناه فمن البين الواضح ان الواحد منهما وحـده ليس يدل عليه على التمام وان كانا غير متشابهين فلننظر كيف يمكن أن يكون للصورة المعقولة أجزاء غير متشابهة فانه ليس يمكن أن تكون الاجزاء الغير المتشابهة الا أجزاء الحد التى هى الاجناس والفصول ويلزم من هـذا محالات منها ان كل جزء من الجسم يقبل القسمة أيضا فى القوة قبولا غـير متناه فيجب أن تـكون الاجناس والفصول بالقوة غـير متناهية وقـد صح ان الاجناس والفصول الذاتية للشئ الواحد ليست فى القوة غير متناهية ولانه ليس يمكن أن يكون توهم القسمة يفيد الجنس والفصل تميزا بينهما بل مالا يشك فيه انه اذا كان هناك جنس وفصل يستحقان تميزاً في المحل ان ذلك التميز لا يتوقف على توهم القسمة فيجب أن تكون الأجناس والفصول بالفعل أيضاً غـير متناهية * وقـد صح أن الاجناس والفصول وأجزاء الحد للشئ الواحـد متناهية من كل وجه * ولو كانت غير متناهية بالفعل لما كان يجوز أن يجتمع في

الجسم اجتماعاً على هذه الصورة فان ذلك يوجب أن يكون الجسم الواحد انفصل بأجزاء غير متناهية * وأيضاً لتكن القسمة وقعت من جهة فأفرزت من جانب جنساً ومن جانب فصلاً * فلو غيرنا القسمة لكان يقع منها فى جانب نصف جنس ونصف فصل أوكان ينقلب الجنس الى مكان الفصل والفصل الى مكان الجنس فكان فرضنا الوهمي يدور مقام الجنس والفصل فيه وكان يغير كل واحد منهما الى جهة ما بحسب ارادة من بدن خارج على ان ذلك أيضاً لا يغنى فانه يمكننا أن نوقع قسماً فى قسم * وأيضاً ليس كل معقول يمكن ان يقسم الى معقولات أبسط منه فان ههنا معقولات هى أبسط المعقولات ومباد للتركيب فى سائر المعقولات وليس لها أجناس ولا فصول ولا هى منقسمة فى الكم ولا هى منقسمة فى المعنى فاذاً ليس يمكن أن تكون الاجزاء المتوهمة فيه غير متشابهة كل واحد منها هو فى المعنى الكل وانما يحصل الكل بالاجتماع فاذا كان ليس يمكن أن تنقسم الصورة المعقولة ولا ان تحل طرفاً من المقادير غير منقسم ولا بد لها من قابل فينا فبين أن محل المعقولات جوهر ليس بجسم ولا أيضاً قوة فى جسم فيلحقه مايلحق الجسم من الانقسام ثم يتبعه سائر المحالات *

﴿ برهان آخر فى المبحث المذكور ﴾

ولنا ان نبرهن على هذا ببرهان آخر * فنقول إن القوة العقلية هى التى تجرد المعقولات عن الكم المحدود والاين والوضع وسائر ماقيل * فيجب أن ننظر فى ذات هذه الصورة المجردة عن الوضع كيف هى مجردة عنه هل ذلك التجرّد بالقياس الى الشئ المأخوذ منه أوبالقياس الى الشئ الآخذ أعنى انهذه الذات المعقولة تتجرد عن الوضع فى الوجود الخارجيّ أوفى الوجود المتصور فى الجوهر العاقل ومحال أن يكون كذلك فى الوجود الخارجيّ فبقى أن تكون انما هى مفارقة للوضع والأين عند وجودها فى العقل فاذاً اذا وجدت فى العقل لم تكن ذات وضع وبحيث تقع اليها اشارة تجرى أوانقسام أوشئ مما أشبههذا المعنى فلا يمكن أن تكون فى جسم * وأيضاً اذا انطبعت الصورة الأحدية الغير المنقسمة التى هى لأشياء غير منقسمة فى المعنى فى مادة منقسمة ذات جهات فلا يخلو امّا أن يكون ولا لشئ من أجزائها التى تفرض فيها بحسب جهاتها نسبة الى الشئ المعقول الواحد الذات الغير المنقسم المتجرد عن المادة أو يكون ذلك لكل واحد من أجزائها التى تفرض أويكون لبعضها دون بعض فان لم

يكن ولا لشئ منها نسبة فليس ولا لكلها لامحالة نسبة وان كان لبعضها نسبة دون بعض فالبعض الذى لانسبة له ليس هو من معناه في شئ وان كان لكل جزء يفرض نسبة ما فاما أن يكون لكل جزء يفرض نسبة الى الذات بأسرها أوالى جزء من الذات فان كان لكل جزء يفرض نسبة الى الذات بأسرها فليست الأجزاء اذاً أجزاء معنى المعقول بل كل واحد منها معقول في نفسه مفرد بل المعقول كما هو فيكون معقولا مرّات لانهاية لها بالفعل فى آن واحد وان كان كل جزء له نسبة غير الأخرى الى الذات فمعلوم أن الذات منقسمة فى العقل وقد وضعناها غير منقسمة هذا خلف وان كان نسبة كل واحد الى شئ من الذات غير ماإليه نسبة الآخر فانقسام الذات أظهر الا انه لايعقل *ومن هذا يتبين ان الصور المنطبعة فى المادة لاتكون الا اشباحاً لأمور جزئية منقسمة ولكل جزء منها نسبة بالفعل أوبالقوة الى جزء منها وأيضاً فان الشئ المتكثر أيضاً فى أجزاء الحد له من جهة التمام وحدة وهو مما لاينقسم فتلك الوحدة بما هى وحدة كيف ترتسم في المنقسم والا فيعرض أيضاً ماقلنا فى غير المتكثر أجزاء حده * وأيضاً فانه قد يصح لنا ان المعقولات المفروضة

التى من شأن القوة الناطقة ان تعقل بالفعل واحداً واحداً منها غير متناهية بالقوة ليس واحد أولى من الآخر * وقد صح لنا ان الشيء الذى يقوى على أمور غير متناهية بالقوة لايجوز أن يكون محله جسماً ولا قوة فى جسم قدبرهن على هذا فى السماع الطبيعى فلا يجوز اذاً أن تكون الذات القابلة للمعقولات قائمة فى جسم البتة ولا عقلها بكائن فى جسم ولا بجسم *

﴿ فصل فى أن تعقل القوة العقلية ليس بالآلة الجسدية ﴾

ونقول ان القوة العقلية لو كانت تعقل بالآلة الجسدانية حتى يكون فعلها الخاص انما يتم باستعمال تلك الآلة الجسدانية لكان يجب أن لاتعقل ذاتها وان لاتعقل الآلة ولا ان تعقل انها عقلت فانه ليس بينها وبين ذاتها آلة وليس بينها وبين آلتها ولا بينها وبين انها عقلت آلة لكنها تعقل ذاتها وآلتها التى تدعى آلتها وانها عقلت فاذاً انما تعقل بذاتها لا بالآلة وأيضاً لايخلو اما أن يكون تعقلها آلتها بوجود ذات صورة آلتها اما تلك واما أخرى مخالفة لها وهى صورتها أيضاً فيها وفى آلتها أولوجود صورة أخرى غير صورة آلتها تلك فيها وفى آلتها فان كان لوجود صورة آلتها فصورة آلتها فى آلتها وفيها بالشركة دائما فيجب أن تعقل آلتها

دائما التى كانت تعقل لوصول الصورة اليها * وان كان لوجود صورة غير تلك الصورة فان المغايرة بين أشياء مشتركة فى حد واحد إمّا لاختلاف المواد وإما لاختلاف ماين الكلى والجزئى والمجرد عن المادة والموجود فى المادة وليس ههنا اختلاف مواد فان المادة واحدة وليس ههنا اختلاف التجريدوالوجود فى المادة فان كلاهما فى المادة وليس ههنا اختلاف بالخصوص والعموم لأن أحدهما انما يستفيد الجزئية بسبب المادة الجزئية واللواحق التى تلحقهامن جهة المادة التى فيهاوهذا المعنى لايختص بأحدهماعن الآخر ولا يجوز أن يكون لوجود صورة أخرى معقولة غير صورة آلتها * فان هذا أشد استحالة لان الصورة المعقولة اذا حلت الجوهر القابل جعلته عاقلا لما تلك الصورة صورته أولماتلك الصورة مضافةاليه فتكون صورة المضاف داخلة فى هذه الصورة وهذه الصورة المعقولة ليست صورة هذه الآلة ولا أيضاً صورة شئ مضاف اليها بالذات * لان ذات هذه الآلة جوهر ونحن انما نأخذ ونعتبر صورة ذاته والجوهر فى ذاته غير مضاف اليه فهذا برهان عظيم على انه لايجوز ان يدرك المدرك لآلة هى آلته فى الادراك ولهذا كان الحسّ انما يحس شيئا خارجاً ولا يحس ذاته

ولا آلته ولا احساسه وكذلك الخيال لا يتخيل ذاته ولا فعله ولا آلته بل ان تخيل آلته تخيلها لا على نحو يخصها بأنه لا محالة له دون غيره الا أن يكون الحس أورد عليه صورة آلته لو أمكن فيكون حينئذ انما يحكي خيالاً مأخوذاً من الحس غير مضاف عنده الى شئ حتى لو لم يكن هو آلته كذلك لم يتخيله *

﴿ برهان آخر فى هذا المبحث ﴾

وأيضاً مما يشهد لنا بهذا ويقنع فيه ان القوى الدرّاكة بانطباع الصور فى الآلات يعرض لها من ادامة العمل أن تكل لاجل ان الآلات تكلها ادامة الحركة وتفسد مزاجها الذى هو جوهرها وطبيعتها والأمور القوية الشاقة الادراك توهنها وربما أفسدتها وحتى لا تدرك بعدها الاضعف منها لانغماسها فى الانفعال عن الشاق كما فى الحس فان المحسوسات الشاقة المتكررة تضعفه وربما أفسدته كالضوء للبصر والرعد الشديد للسمع وعند ادراك القوى لا يقوى على ادراك الضعيف فان المبصر ضوءاً عظيما لا يبصر معه ولا عقيبه نورا ضعيفا * والسامع صوتا عظيما لا يسمع معه ولا عقيبه صوتا ضعيفا ومن ذاق الحلاوة الشديدة لا يحسّ بعدها بالضعيفة والأمر فى القوة العقلية بالعكس فان ادامتها للتعقل

وتصورها للأمور الاقوى يكسبها قوة وسهولة قبول لما بعدها مما هو أضعف منها * فان عرض لها فى بعض الأوقات ملال وكلال فذلك لاستعانة العقل بالخيال المستعمل للآلة التى تكل هى فلا تخدم العقل ولو كان لغير هذا لكان يقع دائما وفى أكثر الأحوال الأمر بالضد *

﴿ برهان ثالث ﴾

وأيضا فان البدن تأخذ أجزاؤه كلها تضعف قواها بعد منتهى النشؤ والوقوف وذلك دون الأربعين أو عند الأربعين وهذه القوة انما تقوى بعد ذلك فى أكثر الأمر ولو كانت من القوى البدنية لكان يجب دائما فى كل حال أن تضعف حينئذ لكن ليس يجب ذلك الا فى أحوال وموافاة عوائق دون جميع الأحوال فليست اذا من القوى البدنية *

﴿ سؤال وشرح شاف للاجابة عنه ﴾

وأما الذى يتوهم من ان النفس تنسى معقولاتها ولا تعقل فعلها مع مرض البدن عند الشيخوخة ان ذلك لها بسبب ان فعلها لا يتم الا بالبدن * فظن غير ضرورى ولا حق * وذلك انه بعد ما صح لنا ان النفس تعقل بذاتها يجب ان نطلب العلة فى هذا

العارض المشكك فان كان يمكن ان يجتمع أن للنفس فعلا بذاتها وانها أيضا تترك فعلها مع أمر البدن ولا تفعل من غير تناقض فليس لهذا الاعتراض اعتبار * فنقول ان النفس لها فعل بالقياس الى البدن وهو السياسة وفعل بالقياس الى ذاتها والى مبادئها وهو التعقل وهما متعاندان متمانعان فانها اذا اشتغلت باحدهما انصرفت عن الآخر * ويصعب عليها الجمع بين الأمرين وشواغلها من جهة البدن الاحساس والتخييل والشهوة والغضب والخوف والغم والوجع * وانت تعلم هذا بانك اذا أخذت تفكر فى المعقول تعطل عليك كل شئ من هذه الا ان تغلب وتقسر النفس بالرجوع الى جهتها وانت تعلم ان الحس يمنع النفس عن التعقل فان النفس اذا أكبت على المحسوس شغلت عن المعقول من غير ان يكون أصاب آلة العقل أو ذاتها آفة بوجه وتعلم ان السبب فى ذلك هو اشتغال النفس بفعل دون فعل فلهذا السبب ما يتعطل أفعال العقل عند المرض ولو كانت الصورة المعقولة قد بطلت وفسدت لأجل الآلة لكان رجوع الآلة الى حالها يحوج الى اكتساب من الرأس وليس الأمر كذلك فانه قد تعود النفس عاقلة لجميع ما عقلته بحاله فقد كان اذا ما كسبته موجودا معها بنوع ما الا انها كانت

مشغولة عنه * وليس اختلاف جهتي فعل النفس فقط يوجب في أفعالها التمانع بل تكثر أفعال جهة واحدة فقد يوجب هذا بعينه فان الخوف يشغل عن الجوع * والشهوة تصد عن الغضب والغضب يصرف عن الخوف والسبب في جميع ذلك واحد وهو انصراف النفس بالكلية الى أمر واحد فاذا ليس يجب اذا لم يفعل شئ فعله عند اشتغاله بشئ أن لا يكون فاعلا فعله الا عند وجود ذلك الشئ * ولنا أن نتوسع فى بيان هذا الباب * الا ان بلوغ الكفاية يسبب الانسياق الى تكلف مالا يحتاج اليه فقد ظهر من أصولنا التي قررنا ان النفس ليست منطبعة في البدن ولا قائمة به * فيجب أن يكون سبيل اختصاصها به سبيل مقتضى هيئة فيها جزئية جاذبة الى الاشتغال بسياسة هذا البدن الجزئي على سبيل عناية ذاتية مختصة به *

﴿ فصل في اعانة القوى الحيوانية للنفس الناطقة ﴾

ثم نقول ان القوى الحيوانية تعين النفس الناطقة في أشياء منها ان الحس يورد عليها الجزئيات فيحدث لها من الجزئيات أمور أربعة (أحدها) انتزاع النفس الكليات المفردة عن الجزئيات على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعن علائق المادة ولواحقها

ومراعاة المشترك فيه والمتباين به والذاتى وجوده والعرضى وجوده فيحدث للنفس من ذلك مبادى التصور وذلك بمعاونة استعمالها للخيال والوهم (والثانى) ايقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفردة على مثل سلب وايجاب فما كان التأليف فيها بسلب أو ايجاب بينا بنفسه أخذته وما كان ليس كذلك تركته الى مصادفة الواسطة (والثالث) تحصيل المقدمات التجريبية وهو ان يوجد بالحس محمولا لازم الحكم لموضوع لازم الايجاب أو السلب أو منافيا له أو تاليا موجب الاتصال أو مسلوبه أو موجب العناد أو مسلوبه غير مناف له وليس ذلك فى بعض الاحايين دون بعض ولا على المساواة بل دائما حتى تسكن النفس الى أن يتبين ان من طبيعة هذا المحمول ان تكون فيه هذه النسبة الى هذا الموضوع * والتالى ان يلزم هذا المقدم أو ينافيه لذاته لا بالاتفاق فيكون ذلك اعتقاداً حاصلاً من حس وقياس * اما الحس فلأجل مشاهدة ذلك واما القياس فلأنه لو كان اتفاقياً لما وجد دائما أو فى أكثر الأمر وهذا كالحكم منا ان السقمونيا مسهل للصفرا بطبيعته لاحساسنا ذلك كثيراً وبقياسنا انه لو كان لا عن الطبع بل عن الاتفاق لوجد فى بعض الأحايين (والرابع) الأخبار التى يقع التصديق

بها لشدة التواتر فالنفس الانسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادئ للتصور والتصديق ثم اذا حصلتها رجعت الى ذاتها فان عرض لها شيء من القوى التي دونها بان تشتغل به شغلتها عن فعلها وأضرت بفعلها * واذا لم تشغلها فلا تحتاج اليها بعد ذلك في خاص فعلها الا فى أمور تحتاج النفس فيها خاصة الى أن تعاود القوى الخيالية مرة أخرى لاقتناص مبدأ غير الذى حصل أو معاونة باحضار خيال * وهذا يقع فى الابتداء كثيراً ولا يقع بعده الا قليلا وأما اذا استكملت النفس وقويت فانها تنفرد بأفاعيلها على الاطلاق وتكون القوى الحسية والخيالية وسائر القوى البدنية صارفة لها عن فعلها ومثال هذا ان الانسان قد يحتاج الى ذاته وآلات يتوصل بها الى مقصد ما فاذا وصل اليه ثم عرض من الأسباب مايحمله على مفارقتها صار السبب الموصل بعينه عائقا * ثم ان البراهين التى أقمناها على ان محل المعقولات أعنى النفس الناطقة ليس بجسم ولا هى قوة فى جسم (١) فقد كفتنا مؤونة الاستشهاد على صحة قيام النفس بذاتها مستغنية عن البدن الا انا

---

(١) قوله فقد كفتنا خبران من قوله ثم ان البراهين التى الخ والفاء زائدة

نستشهد لذلك أيضاً من فعلها [1]

﴿ فصل فى اثبات حدوث النفس [2] ﴾

* ونقول ان الأنفس الانسانية متفقة فى النوع والمعنى فان وجدت قبل البدن فاما أن تكون متكثرة الذوات أوتكون ذاتاً واحدة * ومحال ان تكون ذوات متكثرة وان تكون ذاتاً واحدة على مايتبين فمحال ان تكون قد وجدت قبل البدن فنبدأ ببيان استحالة تكثرها بالعدد * فنقول ان مغايرة الأنفس قبل الابدان بعضها لبعض إما أن يكون من جهة الماهية والصورة وإما أن يكون من جهة النسبة الى العنصر والمادة متكثرة بالأمكنة التي تشتمل كل مادة على جهة منها والأزمنة التى تختص كل نفس بواحد منها فى حدوثها فى مادتها * والعلل القاسمة لمادتها وليست متغايرة بالماهية والصورة لان صورتها واحدة * فاذاً انما تتغاير من جهة قابل الماهية أوالمنسوب اليه الماهية بالاختصاص وهذا هو البدن * وأما قبل البدن فالنفس مجرد ماهية فقط فليس

---

(١) قوله من فعلها يعنى الفصل الاستقلالى الذى بينه فيما تقدم وتزيد الكتب المبسوطة فى ذلك قولها لو كانت (٢) قوله فى اثبات حدوث النفس قبل هذا مما خالف به ارسطو شيخه او طن الالهى حيث حكم بقدم النفس أقول وفى الاستدلال الذى استدل به المشاؤن شيعة اريسطو على حدوث النفس مواضع انظار لايساعدنا وقتنا الآن على بيانها

يمكن أن تغاير نفس نفساً بالعدد والماهيه لاتقبل اختلافاً ذاتياً وهذا مطلق في كل شيء فان الأشياء التي ذواتها معان فقط فتكثر نوعياتها انما هو بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها أو بنسبة ما اليها والى أزمنتها فقط * واذا كانت مجردة أصلا لم تفترق عما قلنا فمحال أن يكون بينها مغايرة وتكاثر فقد بطل أن تكون الأنفس قبل دخولها الأبدان متكثرة الذات بالعدد *فأقول ولايجوز أن تكون واحدة الذات بالعدد لأنه اذا حصل بدنان حصل في البدنين نفسان * فاما أن يكونا قسمي تلك النفس الواحدة فيكون الشيء الواحد الذي ليس له عظم وحجم منقسما بالقوة *وهذا ظاهر البطلان بالاصول المتقررة في الطبيعيات . واما ان تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين وهذا لايحتاج أيضا الى كثير تكلف في أبطاله فقد صح اذا ان النفس تحدث كلما يحدث البدن الصالح لاستعمالها اياه ويكون البدن الحادث مملكتها وآلتها ويكون في هيئة جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلك البدن الذي استحق حدوثها من المبادى الأولية نزاع طبيعي (١) الى الاشتغال به واستعماله والاهتمام بأحواله والانجذاب اليه يخصها به ويصرفها عن كل

(١) قوله نزاع اسم يكون من قوله ويكون في هيئة جوهر النفس الحادثة الخ

الأجسام غيره بالطبع الا بوساطته فلا بد انها اذا وجدت متشخصة فان مبدأ تشخصها يلحق بها من الهيئات ما تتعين به شخصا وتلك الهيئات تكون مقتضية لاختصاصها بذلك البدن ومناسبة لصلوح أحدهما للآخر وان خفى علينا تلك الحال وتلك المناسبة وتكون مبادى الاستكمال متوقعة لها بوساطته وتزيد به بالطبع لا بوساطته واما بعد مفارقة البدن فان الانفس قد وجد كل واحد منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التى كانت وباختلاف أزمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التى بحسب أبدانها المختلفة لامحالة باحوالها *

(فصل فى ان النفس لاتموت بموت البدن [1])

ونقول انها لا تموت بموت البدن ولا تقبل الفساد أصلا أما انها لاتموت بموت البدن فلأن كل شئ يفسد بفساد شئ آخر فهو متعلق به نوعا من التعلق * وكل متعلق بشئ نوعا من التعلق فاما ان يكون تعلقه به تعلق المكافئ فى الوجود * واما ان يكون تعلقه به تعلق المتأخر عنه في الوجود * واما ان يكون تعلقه به

---

(١) قوله فصل ان النفس لاتموت بموت البدن هذه القضية بديهية عند الحكماء وانما وضعوها موضع النظريات وطولوا الكلام عليها تنازلا الى مراتب الطبقات النازلة من الناس ومكالمة معهم على حسب ما يطيقون كما هو سنة الانبياء والا فاحق ما يعقد له الفصل هو ان يقول فصل فى ان النفس تكمل بموت البدن *

تعلق المتقدم عليه فى الوجود الذى هو قبله بالذات لابالزمان * فان كان تعلق النفس بالبدن تعلق المكافئ فى الوجود وذلك أمر ذاتى له لاعارض فكل واحد منهما مضاف الذات الى صاحبه * فليس لاالنفس ولا البدن بجوهر لكنهما جوهران * وان كان ذلك أمرا عرضيا لاذاتيا فاذا فسد أحدهما بطل العارض الآخر من الاضافة ولم تفسد الذات بفساده وان كان تعلقه به تعلق المتأخر عنه فى الوجود فالبدن علة للنفس فى الوجود حينئذ والعلل أربع فاما أن يكون البدن علة فاعلية للنفس معطية لها الوجود * واما ان يكون علة قابلية لها بسبيل التركيب كالعناصر للأبدان أو بسبيل البساطة كالنحاس للصنم * واما أن تكون علة صورية * واما ان تكون علة كمالية ومحال ان تكون علة فاعلية فان الجسم بما هو جسم لا يفعل شيأ وانما يفعل بقواه ولو كان يفعل بذاته لا بقواه لكان كل جسم يفعل ذلك الفعل ثم القوى الجسمانية كلها اما اعراض واما صور مادية ومحال ان تفيد الاعراض أو الصور القائمة بالمواد وجود ذات قائمة بنفسها لافى مادة ووجود جوهر مطلق ومحال ايضا ان تكون علة قابلية فقد بينا وبرهنا ان النفس ليست منطبعة فى البدن بوجه من الوجوه فلا يكون اذاً البدن

متصورا بصورة النفس لا بحسب البساطة ولا على سبيل التركيب بان يكون أجزاء من اجزاء البدن تتركب وتمتزج تركيبا مّا ومزاجا مّا فتنطبع فيها النفس * ومحال ان تكون علة صورية للنفس أو كمالية فان الأولى ان يكون الامر بالعكس فاذاً ليس تعلق النفس بالبدن تعلق معلول بعلة ذاتية * نعم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس فانه اذا حدث مادة بدن يصلح ان يكون آلة النفس ومملكة لها احدث العلل المفارقة النفس الجزئية * وحدثت عنها ذلك لان احداثها بلاسبب مخصص احداث واحدة دون واحدة محال ومع ذلك يمنع وقوع الكثرة فيها بالعدد لما قد بيناه ولانه لابد لكل كائن بعد مالم يكن من ان تتقدمه مادة يكون فيها تهيؤ قبوله أو تهيؤ لنسبته اليه كما تبين فى العلوم الاخرى ولانه لو كان يجوز ايضاً ان تكون النفس الجزئية تحدث ولم يحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكانت معطلة الوجود ولا شئ معطل فى الطبيعة ولكن اذا حدث التهيؤ للنسبة والاستعداد للآلة يلزم حينئذ ان يحدث من العلل المفارقة شئ هو النفس * وليس اذا وجب حدوث شئ مع حدوث شئ يجب ان يبطل مع بطلانه * انما يكون ذلك اذا كانت ذات الشئ قائمة بذلك الشئ وفيه *

وقد تحدث أمور عن أمور وتبطل هذه الأمور وتبقى تلك الأمور اذا كانت ذواتها غير قائمة فيها وخصوصا اذا كان مفيد الوجود لها شئ آخر غير الذى انما تهيأ افادة وجودها مع وجوده . ومفيد وجود النفس شئ غير جسم كما بينا ولا قوة فى جسم بل هو لامحالة جوهر آخر غير جسم فاذا كان وجوده من ذلك الشئ ومن البدن يحصل وقت استحقاقه للوجود فقط فليس له تعلق في نفس الوجود بالبدن ولا البدن علة له الا بالعرض فلا يجوز اذا ان يقال ان التعلق بينهما على نحو يوجب ان يكون الجسم متقدما تقدم العلية بالذات على النفس . وأما القسم الثالث مما كنا ذكرنا فى الابتدا وهو ان يكون تعلق النفس بالجسم تعلق المتقدم في الوجود . فاما ان يكون التقدم مع ذلك زمانيا فيستحيل ان يتعلق وجوده به وقد تقدمه فى الزمان . واما ان يكون التقدم فى الذات لافى الزمان لانه فى الزمان لايفارقه وهذا النحو من التقدم هو ان تكون الذات المتقدمة كلما توجد يلزم ان يستفاد عنها ذات المتأخر فى الوجود . وحينئذ لايوجد هذا المتقدم فى الوجود اذا فرض المتأخر قد عدم لاأن فرض عدم المتأخر أوجب عدم المتقدم ولكن لان المتأخر لايجوز ان يكون

عدم الا وقد عرض أولا بالطبع للمتقدم ما أعدمه فحينئذ عدم المتأخر فليس فرض عدم المتأخر يوجب عدم المتقدم ولكن فرض عدم المتقدم نفسه لانه انما افترض المتأخر معدوماً بعد ان عرض للمتقدم ان عدم فى نفسه . واذا كان كذلك فيجب ان يكون السبب المعدم يعرض فى جوهر النفس فيفسد معه البدن وإن لا يكون البتة البدن يفسد بسبب يخصه لكن فساد البدن يكون بسبب يخصه من تغير المزاج أو التركيب فباطل أن تكون النفس تتعلق بالبدن تعلق المتقدم بالذات ثم يفسد البدن البتة بسبب فى نفسه فليس اذا بينهما هذا التعلق . واذا كان الأمر على هذا فقد بطل انحاء التعلق كلها وبقى ان لا تعلق للنفس فى الوجود بالبدن بل تعلقه في الوجود بالمبادى الأخر التى لا تستحيل ولا تبطل وأما انها لا تقبل الفساد أصلا * فأقول أن سبباً آخر لا يعدم النفس البتة وذلك أن كل شئ من شأنه ان يفسد بسبب ما ففيه قوة أن يفسد وقبل الفساد فيه فعل أن يبقى ومحال أن يكون من جهة واحدة فى شئ واحد قوة أن يفسد وفعل أن يبقى بل تهيؤه للفساد ليس لعلة أن يبقى فان معنى القوة مغاير لمعنى الفعل * وإضافة هذه القوة مغايرة لاضافة هذا الفعل لان اضافة

ذلك الى الفساد واضافة هـذا الى البقاء فاذاً لامرين مختلفين فى الشئ يوجد هذان المعنيان * فنقول ان الأشياء المركبة والأشياء البسيطة التى هى قائمة فى المركبة يجوز أن يجتمع فيها فعل أن يبقى وقوة أن يفسد واما فى الأشياء البسيطة المفارقة الذات فلا يجوز أن يجتمع هذان الأمران * وأقول بوجه آخر مطلق انه لايجوز أن يجتمع فى شئ أحديّ الذات هـذان المعنيان * وذلك لان كل شئ يبقى وله قوة أن يفسد فله قوة أيضا أن يبقى لان بقاءه ليس بواجب ضرورى * واذا لم يكن واجباً كان ممكناً والامكان هو طبيعة القوة فاذاً يكون له فى جوهره قوة أن يبقى وفعل أن يبقى لامحالة ليس هو قوة أن يبقى منه وهذا بيّنٌ * فيكون اذاً فعل أن يبقى منه أمر يعرض للشئ الذى له قوة أن يبقى منه فتلك القوّة لا تكون لذات مّا بالفعل بل للشئ الذى يعرض لذاته أن يبقى بالفعل لا انه حقيقة ذاته فيلزم من هذا أن تكون ذاته مركبة من شئ اذا وجد له كان به ذاته موجودا بالفعل وهو الصورة فى كل شئ وعن شئ حصل له هذا الفعل وفى طباعه قوته وهو مادته .

فان كانت النفس بسيطة مطلقة لم تنقسم الى مادة وصورة * فلم تقبل الفساد وان كانت مركبة فلنترك المركب ولننظر فى الجوهر

الذى هو مادته ولنصرف القول الى نفس مادته ولنتكلم فيها ونقول إن تلك المادة إما أن تنقسم هكذا دائما ويثبت الكلام دائما وهذا محال * وإما أن لا يبطل الشئ الذى هو الجوهر والسنخ وكلامنا فى هذا الشئ الذى هو السنخ والأصل لا فى شئ مجتمع منه ومن شئ آخر * فبين ان كل شئ هو بسيط غير مركب أو هو أصل مركب وسنخه فهو غير مجتمع فيه فعل أن يبقى وقوة أن يعدم بالقياس الى ذاته * فان كانت فيه قوة أن يعدم فمحال أن يكون فيه فعل أن يبقى * واذا كان فيه فعل أن يبقى وان يوجد فليس فيه قوة أن يعدم * فبين اذا أن جوهر النفس ليس فيه قوة أن يفسد * وأما الكائنات التى تفسد فان الفاسد منها هو المركب المجتمع وقوة أن تفسد وان تبقى ليس فى المعنى الذى به المركب واحد بل فى المادة التى هى بالقوة قابلة كلا الضدين فليس اذا فى الفاسد المركب لا قوة ان يبقى ولا قوة ان يفسد فلم يجتمعا فيه * واما المادة فاما ان تكون باقية لا بقوة تستعد بها للبقاء كما يظن قوم . وإما أن تكون باقية بقوة بها تبقى وليس لها قوة ان تفسد بل قوة ان تفسد شئ آخر فيها يحدث والبسائط التى فى المادة فان قوة فسادها هو للمادة لا فى جوهرها والبرهان الذى

يوجب أن كل كائن فاسد من جهة تناهي قوتي البقاء والبطلان انما يوجب فيما كونه من مادة وصورة ويكون في المادة قوة أن تبقى فيه هذه الصورة وقوة أن تفسد هي فيه معا فقد بان اذا أن النفس البتة لاتفسد والى هذا سقنا كلامنا *

﴿ فصل في بطلان القول بالتناسخ ﴾

وقد أوضحنا ان الانفس انما حدثت وتكثرت مع تهيؤ الأبدان على ان تهيؤ الأبدان يوجب أن يقتضي وجود النفس لها من العلل المفارقة وظهر من ذلك أن هذا لايكون على سبيل الاتفاق والبخت حتى يكون ليس وجود النفس الحادثة لاستحقاق هذا المزاج نفسا تدبره حادثة ولكن كان يوجد نفس واتفق أن وجد معه بدن فحينئذ لايكون للتكثر علة ذاتية البتة بل عرضية وقد عرفنا ان العلل الذاتية هي أولا ثم العرضية فاذا كان كذلك فكل بدن يستحق مع حدوث مزاجه حدوث نفس له وليس بدن يستحقه وبدن لايستحقه اذ أشخاص الأنواع لاتختلف في الأمور التي بها تتقوم * فاذا فرضنا نفسا تناسختها أبدان وكل بدن فانه بذاته يستحق نفسا تحدث له وتتعلق به فيكون البدن الواحد فيه نفسان معا * ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هي على

سبيل الانطباع فيه كما قلنا بل علاقة الاشتغال به حتى تشعر النفس بذلك البدن وينفعل البدن عن تلك النفس * وكل حيوان فانه يستشعر نفسه نفسا واحدة هى المصرّفة والمدبرة فان كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها ولا هى بنفسها ولا تشتغل بالبدن فليس لها علاقة مع البدن لان العلاقة لم تكن الا بهذا النحو فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه * وبهذا المقدار لمن أراد الاختصار كفاية بعد انّ فيه كلاما طويلا *

﴿ فصل فى وحدة النفس ﴾

ونقول ان النفس ذات واحدة ولها قوى كثيرة ولو كان قوى النفس لا تجتمع عند ذات واحدة بل يكون للحس مبدأ على حدة وللغضب مبدأ على حدة ولكل واحد من الأخرى مبدأ على حدة لكن الحس اذا ورد عليه شئ فأما ان يرد ذلك المعنى على الغضب أو الشهوة فتكون القوة التى بها تغضب بها بعينها تحس وتتخيل * فتكون القوة الواحدة تصدر عنها أفعال مختلفة الأجناس * أو يكون قد اجتمع الاحساس والغضب فى قوة واحدة فلا يكون اذا قد تفرقا فى قوتين لا مجمع لهما بل لما كانت هذه تشغل بعضها بعضا ويرد تأثير بعضها على بعض فأما

ان يكون كل واحد منها من شأنه أن يستحيل باستحالة الآخر أو يكون شئ واحد هو يجمع هـذه القوى * وكلها تؤدي اليه فتقبل عن كلها مايورد والقسم الاول محال لان كل قوة فعلها خاص بالشئ الذى قيل انه قوة له وليس يصلح كل قوة لكل فعل فقوة الغضب بما هى قوة الغضب لاتحس * وقوة الحس بما هى قوة الحس لاتغضب فبقى القسم الثانى وهو انها كلها تؤدى الى مبدإ واحـد * فان قال قائل ان قوة الغضب ليس تنفعل عن الصورة المحسوسـة لكن الحس اذا أحس بالمحسوس لزمـه انفعال قوة الغضب بالغضب وان لم يكن ينفعل بصورة المحسوس * فالجواب عن هـذا ان ذا محال وذلك ان قوة الغضب اذا انفعل عن قوة الحس فاما ان ينفعل عنه لان تأثيرا وصل اليه منـه وذلك التأثير هو تأثير ذلك المحسوس فيكون انفعل عن ذلك المحسوس * وكلما انفعل عن المحسوس بما هو محسوس فهو حاسّ * وأما أن يكون ينفعل عنه لا من جهة ذلك المحسوس فلا يكون الغضب من ذلك المحسوس وقد فرض من ذلك المحسوس هـذا خلف وأيضا فانا نقول إنالما أحسسنا بكذا غضبنا ويكون هذا كلاماحقافيكون شئ واحد هو الذى أحس فغضب * وهذا الشئ الواحد إما ان

يكون جسم الانسان أو نفسه . فان كان جسم الانسان فأما ان يكون جملة أعضائه واما أن يكون بعض أعضائه ولا يصح أن يكون جملة أعضائه فانه لايدخل فى هذه اليد والرجل ولا يجوز أيضا ان يكون عضوان من أعضائه هذا أحس وهذا غضب فانه لايكون حينئذ شئ واحد أحس فغضب * ولا أيضا عضو واحد هو عند أصحاب هذا القول موضوع للأمرين جميعا فسى ان الحق هو ان قولنا إننا أحسسنا فغضبنا ان شيئاً منا أحس وشيأ منا غضب لكن مراد القائل انا أحسسنا فغضبنا ليس ان هذا منا فى شيئين بل أن الشئ الذى أدى اليه الحس هذا المعنى عرض له ان غضب * واما أن يكون هذا القول بهذا المعنى كاذبا . واما أن يكون الحق هو ان الحاس والذى يغضب شئ واحد لكن هذا القول بيّن الصدق * فاذا الذى يؤدى اليه الحس محسوسه هو الذى يغضب وكونه بهذه المنزلة وان كان جسما فليس له بما هو جسم فهو اذاً له بما هو ذو قوة بها يصلح لاجتماع هذين الأمرين فيه وهذه القوة ليست طبيعية فهى اذا نفس * فاذا ليس موضوع اجتماع هذين الأمرين جملة جسمنا ولا عضوين منا ولا عضواً واحداً بما هو طبيعى فبقى ان يكون المجتمع نفسا بذاتها أو جسم

من جهة ماهو ذونفس بالحقيقـة * فالمجتمع هو النفس ويكون ذلك النفس هو المبدأ لهذه القوى كلها ويجب ان يكون تعلقه بأول عضو يتولد فيه الحياة فمحال ان يحيا عضو بلا تعلق قوة نفسانية به وان يكون أولى مايتعلق بالبدن لا هـذا المبدأ بل قوة تحدث بعده * واذا كان كذلك فيجب ان يكون متعلق هذا المبدإ هو القلب لامحالة وهذا الرأى مخالف من الفيلسوف لرأى الالهى (افلاطون) وفيه موضع شك وهو انا نجد القوى النباتية تـكون فى النبات ولا نفس حساسـة ولا نفس ناطقة ويكونان معا فى الحيوان ولا نفس ناطقة فاذا كل واحـد منهما قوة أخرى غير متعلقة بالآخر * والذى يجب ان يعرف حتى ينحل به هذا الشك ان الأجسام العنصرية يمنعها صرفية التضاد عن قبول الحياة * وكلما أمعنت في هدم صرفية التضاد وردته الى التوسط الذى لاضد له جعلت تقرب الى شبه بالاجسام السماوية فتستحق بذلك القدر لقبول قوة محيية من المبدأ المفارق المدبر ثم اذا ازدادت قربا من التوسط ازدادت قبولاً للحياة حتى تبلغ الغاية التى لايمكن أن يكون أقرب منها الى التوسط وأهدم للطرفين المتضادين فتقبل جوهراً مقارب الشبه من وجه مّا للجوهر المفارق كما قبلته الجواهر

السماوية واتصلت به فيكون حينئذ ما كان يحدث فيه قبل وجوده يحدث فيه منه ومن هذا الجوهر * ومثال هذا فى الطبيعيات ان تتوهم مكان الجوهر المفارق نارا بل شمسا * ومكان البدن جرما يتأثر عن النار وليكن كوماً وليكن مكان النفس النباتية تسخينها اياه ومكان النفس الحيوانية انارتها له ومكان النفس الانسانية اشتعالها فيه ناراً * فنقول ان ذلك الجسم المتأثر كالكوم ان كان ليس وضعه من ذلك المؤثر فيه وضعاً يقبل اضاءته وانارته ويشتعل شئ منه عنه ولكنه وضعاً يقبل تسخينه لم يقبل غير ذلك فان كان وضعه وضعاً يقبل تسخينه ومع ذلك فهو مكشوف له أو مستشف أو على نسبة اليه يستنير عنه استنارة قوية فانه يسخن عنه ويستضئ معا فيكون الضوء الواقع فيه منه هو مبدأ أيضا مع ذلك المفارق لتسخينه فان الشمس تُسخِن بالشعاع ثم ان كان الاستعداد أشد وهناك ما من شأنه ان يشتعل عن المؤثر الذى من شأنه أن يحرق بقوته أو شعاعه اشتعل فحدثت الشعلة جرما شبيهاً بالمفارق من وجه ثم تلك الشعلة أيضا تكون مع المفارق علة للتنوير والتسخين معا ولو بقيت وحدها لاستمر التنوير والتسخين ومع هذا فقد كان يمكن ان يوجد التسخين وحده أو التسخين والتنوير وحدهما

وليس المتأخر عنهما مبدأً يفيض عنه المتقدم وكان اذا اجتمعت الجملة تصير حينئذ كل ما فرض متأخرا مبدأ أيضا للمتقدم وفايضا عنه المتقدم فهكذا فليتصور فى القوى النفسانية وقد وضح لنا ان وجود النفس مع البدن وليس حدوثها عن جسم بل عن جوهر هو صورة غير جسمية *

﴿ فصل فى الاستدلال باحوال النفس الناطقة على وجود العقل الفعّال وشرحه بوجه مّا ﴾

فنقول ان القوة النظرية فيه أيضا تخرج من القوة الى الفعل بانارة جوهر هذا شأنه عليه وذلك لان الشئ لايخرج من القوة الى الفعل الا بشئ يفيده الفعل لابذاته وهذا الفعل الذى يفيده هو صورة معقولاته * فاذًا ههنا شئ يفيد النفس ويطبع فيهامن جوهر صور المعقولات فذات هذا الشئ لامحالة عنده صور المعقولات وهذا الشئ اذا بذاته عقل ولو كان بالقوة عقلا لامتد الأمر الى غير نهاية وهذا محال أو وقف عند شئ هو بجوهره عقل وكان هو السبب لكل ماهو بالقوة عقل فى ان يصير بالفعل عقلا وكان يكفى وحده سببا لاخراج العقول من القوة الى الفعل وهذا الشئ يسمى بالقياس الى العقول التى بالقوة وتخرج منه الى

الفعل عقلا فعالا كما يسمى العقل الهيولانى بالقياس اليه عقلا منفعلا أو يسمى الخيال بالقياس اليه عقلا منفعلا آخر * ويسمى العقل الكائن فيما بينهما عقلا مستفاداً ونسبة هذا الشيء الى أنفسنا التى هى بالقوة عقل والى المعقولات التى هى بالقوة معقولات نسبة الشمس الى أبصارنا التى هى بالقوة رائية والى الألوان التى هى بالقوة مرئية فانها اذا اتصل بالمرئيات بالقوة منها ذلك الأثر وهو الشعاع عادت مرئيات بالفعل وعاد البصر رائيا بالفعل فكذلك هذا العقل الفعال يفيض منه قوة تسيح الى الأشياء المتخيلة التى هى بالقوة معقولة لتجعلها معقولة بالفعل وتجعل العقل بالقوة عقلا بالفعل وكما ان الشمس بذاتها مبصرة وسبب لان تجعل المبصر بالقوة مبصراً بالفعل فكذلك هذا الجوهر هو بذاته معقول وسبب لان يجعل سائر المعقولات التى هى بالقوة معقولة بالفعل لكن الشيء الذى هو بذاته معقول هو بذاته عقل فان الشيء الذى هو بذاته معقول هو الصورة المجردة عن المادة وخصوصاً اذا كانت مجردة بذاتها لا بغيرها * وهذا الشيء هو العقل بالفعل أيضاً فاذا هذا الشيء معقول بذاته أبداً بالفعل وعقل بالفعل *

﴿ تم قسم الطبيعيات ويليه قسم الالهيات ﴾

﴿ فهرس القسم الثانى «الذي في الطبيعيات» من كتاب النجاة ﴾

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

﴿ تم الفهرس ﴾



القسم الثاني

من



﴿ مختصر الشفاء ﴾

(للشيخ الرئيس الحسين أبي علي بن سينا)

﴿ وهو في الحكمة الطبيعية ﴾

﴿ تنبيه ﴾

